الفضاء المغاربي ISSN: 1112-4067 [المجلد الرابع - العدد الثاني] فبراير 2021م/ رجب 1442هـ ص 5 -31

ثورة نوفمبر في الشّعر الجزائريّ الحديث

The November Revolution in modern Algerian poetry

أ/ د. محمد مرتاض[1]

Mortad Mohammed

كلية الآداب واللغات–جامعة تلمسان (الجزائر)

cmortad2002@yahoo.fr

تاريخ الاستلام:2020/12/15– تاريخ القبول:2021/01/27– تاريخ النشر: 2021/02/24

الملخّص: تتناول هذه المقالة جانباً من شعر الثّورة الذي أنشده شعراء جزائريون إبّان ثورة نوفمبر 1954م، حيث سجّلوا في قصائدهم الأفعال الشّنيعة والجرائم البشعة التي اجترحتها اليد الآثمة للمستدمر الفرنسيّ، فكان نتاج هؤلاء الشّعراء سلاحاً معنويّاً بالتّوازي مع بطولة جيش التحرير في قمم الجبال. وقد أثبتنا نماذج لشعراء طالهم من عَنَت الاستدمار كلّ أنواع الخسْف والهمجيّة، ولكنّ أولئك كلّه لم يزدهم إلّا إصراراً على مواقفهم الوطنيّة والبطوليّة، فانطلقت حناجرهم بأناشيد أمدّت الثّوّار بهمّة وصريمة، وفي الوقت ذاته هزّت أركان العدو، وأصابته باليأس والتّضعْضُع، وراح يترقّب ما يُنشر منها ليُصادره قبل أن يُحرقه لهيب كلماتها، وذلكم ما يتجلّى في النّماذج التي أوردناها لكلّ من محمد العيد، ومفدي زكريّاء، وصالح باوية، وحمود رمضان، والربيع بوشامة، وصالح خرفي، وصالح خباشة، وصالح خبشاش، وعبد القادر السّائحي، وهلمّ جرّاً.. والذين تعرّضوا في خطابهم الشّعريّ المذكور لقضايا تصف كلّها أيّام الثّورة المجيدة، وتؤرّخ لما أصاب الشّعب الجزائريّ من ويلات المحتلّ الفرنسيّ وجرائمه، وتتلخّص محاور هذا البحث في القضايا الآتية:

أ – قصائد هيّأت للثّورة. ب – الابتهاج باندلاع ثورة نوفمبر. ج – الاحتفاء بالمقاومة الشّرسة لجيش التحرير الوطني.

د – دور المرأة في إذكاء نار الثّورة. هـ – رفض التّفريط في شبر واحد من الأرض. و – بشائر النّصر.

الكلمات المفاتيح: ثورة – نوفمبر – شعر – جزائر – جيش – انتصار

The November Revolution in modern Algerian poetry

Summary:

This article deals with an aspect of revolution poetry that Algerian poets sang during the November 1954 revolution, as they recorded in their poems the heinous deeds and heinous crimes inflicted by the sinful hand of the French colonialist, so the production of these poets was a moral weapon in parallel with the championship of the National Liberation Army in the mountain tops. The deaf, and we have proven examples of poets who were affected by all kinds of shamelessness and barbarism that meant sustainability, but all of those only increased their insistence on their patriotic and heroic stances, so their throats set off with songs that gave the revolutionaries vigor and harsh, Their pens turned up and recorded poems after poems, which caused the enemy's pillars to shake, and caused him to become despondent and weak, and he waited for what was published to confiscate it before burning it to the flame of its words, and this is what is evident in the examples that we have listed for each of Muhammad Al-Eid and Moufdi Zakaria, Salih Bawia, Hammoud Ramadan, Al Rabeeh Boushama, Salih Kharfi, Saleh Khabasha, Salih Khabshash, Abdelkader As-Saeehi, and so on .. and those who in their aforementioned poetic speech dealt with issues that describe all the glorious days of the revolution and chronicle what afflicted the Algerian people The Frenchman and his crimes, and the axes of this research are summarized in the following issues:

A - Poems prepared for the revolution .. B - rejoicing at the outbreak of the November revolution.

C - Celebrating the fierce resistance of the National Liberation Army.

D - The role of women in stoking the fire of the revolution.

E - Refusing to abandon one inch of the land. And - good news of victory.

Key words:

revolution : November - poetry - Algeria - army – victory.

[1] –المؤلف المرسل: محمد مرتاض ، الإيميل: cmortad2002@yahoo.fr

لقد اندلعت ثورة نوفمبر المجيدة يوم الاثنين غُرّة نوفمبر 1954م في مختلف الولايات الجزائريّة شرقاً وغرباً مع تفاوت في حدّتها بين موطن وآخر لدواعٍ منطقيّة، فإذا كان الأوراس الشّامخ أشعلها ناراً مُحرقة على مراكز الأعداء، فإنّ جبل أحفير في تلمسان قد أباد أعداء كانوا متعاونين مع الاستدمار، يؤازرونهم بالجوسسة والتّعذيب لإخوانهم، فكانت الهجومات المختلفة في كلّ من تيرني بتلمسان، وزهانة، ووهران، وعين تموشنت، وحمام بوحجر، وحاسي الغلة، وسيق ، وهلمّ جرّاً[1]، كما طالت الآلة الجهنّميّة الإجراميّة أوّل شهيد في الغرب الجزائريّ، وهو البطل أحمد زبانة[2] .

تعريف الثورة:

إنّ تعريف الثّورة للأجيال المعاصرة قد يكون من باب الاستطراد والزّيادة، باعتبار أنّ مدلولها جليّ عندهم، محفور في ذاكرتهم، وقد ازدادوا إلماماً به بعد أن صاروا يشاهدون نشوب حروب هنا وهناك في مختلف بقاع العالم، أو يدرسون التّاريخ المعاصر للجزائر، إضافةً إلى الأشرطة السّينمائيّة عن الثّورة الجزائريّة التي نقلت جانباً من بطولات المجاهدين والفدائيين والمناضلين بعامّة، ناهيك فيما تنقله التّكنولوجيا الحديثة التي حوّلت الكرة الأرضية – على شساعتها – إلى قرية صغيرة، ولكن من الجانب المنهجيّ فقط، نحاول أن نقرّب هذا التّعريف إلى الأذهان في إيجاز.

أ – لغة:

تُعرّف الثّورة بأنّها «الهيجان، وقد أُطلقت في الاستعمال الاصطلاحيّ الحديث على (الهياج المنتشر)، يُقال: ثار به النّاس، أي: وثَبوا عليه ووقفوا ضدّه»(عبد الله خلف،1975،ص 528).

ب . اصطلاحاً:

هي« التّغْيير الشّامل للوضْع القائم الذي قامت من أجل تغْييره واسْتبْداله بوضْع آخر اختارتْه كبديل أو هدف في حدّ ذاته»(محمد لحسن زغيدي، 1995، ص71) .

فالثّورة: هي التّمرُّد على الوضع القائم سياسيّاً واجتماعيّاً وفكريّاً واقتصاديّاً جميعا، وهذه الكلمة زلزلت عروشاً وهدّت صُروحاً وغيّرت معالم كانت من قبل راكدة جامدة.

والجزائر تُعدّ مهد الثّورات على الطّغاة لم يذعن أهلها لمستدمر، ولم يستسلموا لطاغية بغى عليهم منذ عهد ماسينيسا وحفيده يوغورطة إلى العصر الحاضر حين مزّقوا ستار الفزع والجبن، وانطلقوا رافعين الرّايات مردّدين الشّعارات بسقوط المحتلّ الأجنبيّ بخاصّة في انتفاضة الثّامن ماي 1945م، وعلى الرّغم من بطش العدوّ وتنكيله بالوطنيّين، فإنّ ذلك لم يحل دون مواصلة النّضال إلى أن وقع الانفجار الرّهيب والزّلزال العنيف الذي ارتجّت له جيوش العدوّ الفرنسي، فما درى كيف يصنع!.

وكان بديهيّاً أن تنذلق حناجر الشّعراء الجزائريين مع لعلعة البنادق والرّشاشات ، فيتغنّوْا بأمجاد الانتصارات، ويخلّدوا معارك وهجمات أتت على ثكنات بكاملها وعلى كتائب برُمّتها، ولا يُصدّق هذا القول إلاّ من كان داخل أتون المعركة، أو عاش هذه الأحداث، أمّا الذي يقرؤها فقط، فقد يراها نكتة من نكت المخبولين المعْتوهين؛ ولعلّ أنّ هذا الهاجس دار بخلد الشّهيد البطل ديدوش مراد الذي سارع إلى القول: «إنّ الشّعب سيروي هذه الأساطير عندما نكشف

له اليوم عن مبلغ تفانينا في القتال، وقوّة عزائمنا في الدّفاع عن بلادنا» (بوالطمين، 1987، ص23). لذلك كانت مساهمات هؤلاء الشّعراء دفعاً وتمجيداً وتخليداً لثورة نوفمبر، وقد توزّعت هذه القصائد ما بين مديح لجيش التّحرير، والفدائيّين، وما بين تمجيد للشّهداء، وتسجيل للمعارك والكمائن وما بين الرّفض للإدماج، وهلمّ جرّاً...

ثورة نو فمبر والشّعراء:

لا ريب في أنّه ما من ثورة نالت من الاهتمام والتّقدير مثلما حظيت به ثورة نوفمبر، فقد تحدّث عنها الصّديق الحميم، والأخ الشّقيق، وتغنّى بانتصاراتها كثير من شعراء العالم ، ولذلك يتعذّر على من يروم الخوض في هذا المجال، أن يُحصي أقلام الشّعراء المتغنّين بها إحصاءً،أو يعدّها عدّاً، وحسْبه أن يقتصر على نموذجات تمثيليّة في هذا الشّأن لا أكثر، وهذا ما فعلناه في هذه المقالة حيث إنّنا سنقف عند بعض الشّعراء الجزائريّين الذين اكْتووْا بلهيبها واحترقوا بلظاها من قريب أو بعيد، فقد ذاقت كلّ أسرة جزائريّة شَرْيها، واكتوت ببلوى غائلتها. والشّعراء في مثل هذه المواقف المؤلمة أكثر تأثُّراً وأعمق تألُّماً، ولذلك انطلقت من حناجرهم زفرات، ومن أقلامهم جمرات، ومن أصواتهم قصائد خالدات، فأكثروا من الأناشيد والإبداع؛ موازاة مع بطولات المجاهدين في أتون المعارك بين القمم والنجود.

وكانت هذه القصائد فولاذاً سحريّاً للمجاهدين يستعينون بها على أهوال الحرب، ويترنّمون بإنشادها بين الآونة والأخرى، وكانت أناشيد «قسماً»، و «من جبالنا»، و «نحن طلاّب الجزائر»، و «إخواني لا تنسوا شهداءكم»، و «موطني» وهلمّ جرّاً... تدفع بالمجاهدين إلى ساحات الوغى وهم مُنتشون فرحون بما سيتحقّق من انتصارات باهرة، ويحدث من تغييرات مُزلزلة، فكانت أصداء الجبال تردّد معهم؛ وتتناغم مع حماسهم. فشعر الثّورة، إذاً، هو سلاح فتّاك معنويّ إلى جانب الكفاح المسلّح، وليس هذا بجديد أو معاصر لثورتنا فحسب، بل لقد كان لهذا النّوع من الشّعر تأثير في الغازين والفاتحين منذ الجاهليّة إلى يوم النّاس هذا، ألم يرغّب الرّسول (صلى الله عليه وسلم) حسّان بن ثابت في إنشاد قصائده تخليداً للغزوات، واحتفاءً بالانتصارات !. فقد ورد في كتب السّيرة أنّه (عليه الصلاة والسلام) قال لحسّان:« «اهْجُهُمْ – يعنى قريشاً – فو اللّهِ لَهِجاؤكَ أشدُّ عليهمْ منْ وقْعِ السّهامِ فى غَلَسِ الظَّلام،اُهْجُهُمْ ،ومعكَ جبريلُ روحُ الْقُدُس، والْقَ أبا بكْرٍ يُعلِّمكَ تلكَ الْمَنَاتِ»[3]. فالمنافحة عن الدّين والعرض والأرض أمر مشروط في العقيدة الإسلاميّة ولا جدال فيه، فقد حثّ الرّسول (صلى الله عليه وسلم) المسلمين على نبْذ الخَوَر والجُبْن إزاء المعتدين، ودعاهم إلى الذّود عن حُرماتهم بكلّ أصنافها، وبشّرهم بالشّهادة لمن قُتل دون ذلك، فقال: « منْ قُتِل دُونَ مالِهِ فهُو شَهيدٌ، ومنْ قُتلَ دُونَ دمِهِ فهُو شهيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهو شهيدٌ، ومنْ قُتِل دُونَ أهْلِهِ فهُو شهيدٌ » [4]. فجهاد الطّغاة الكفرة الظّالمين لا يجادل فيه أحد من المؤمنين، وكانت انطلاقة ثورة نوفمبر من هذا الإيمان العميق بحقّ الجزائريين في التّنعُّم بحريتهم والأمان في وطنهم.

جاء شعر الثّورة إذاً، ليبعث الحماس في الصّفوف، ويُجدّد الدّماء في الشّرايين، وهذا الخطاب الشّعريّ بدوره كانت له تعريفات، وتحدّثت عنه مقالات ومحاضرات، فهو «ذلك الشّعر الذي ظلّ، ولا يزال، مهْمازاً يُثير العواطف، ويصقل القرائح، ويحرّك الوجدان في اتّجاه الثّورة، ويُضيء الواقع أمام الإنسان العربيّ، ويغرس فيه عادة الرّفض والتّمرُّد،

والتّصدّي لكلّ ما هو سلبيّ في حياة الأمّة، ويُمدّه على الدّوام بتلك الطّاقة الشّعوريّة القابلة لأن تتحوّل انفجاراً في كلّ لحظة. ومن شأن هذا الفهم الذي نفهم به شعر الثّورة، أن يُقْصي أيّ معنىً لثوريّة الشّعر الذي ينحصر في تبعيّته لثورة معيّنة...»(حوطش، 1987، ص 15).

ذلك أنّ شعر الثّورة ظلّ مُصاحباً لمراحلها، شادّاً من أزرها، وباثّاً الحماس المتجدّد في عروقها. وأذكر أنّنا، ونحن في قمم الجبال وبين الكهوف، كانت تشدّنا إلقاءات مفدي زكرياء الشّعريّة، وتبعث فينا الرّغبة في التّضحية من أجل الجزائر، كما كنّا ننتظر وصول جريدة «المجاهد» إلينا في شغف، حتّى إذا تصفّحنا ما فيها من مقالات، وقفنا عند قصيدة شعريّة لنُردّدها مترنّمين بإيقاعها ومدلولها، وما فتئت أذكر كثيراً من أبيات شاعر الثورة مفدي زكريّاء التي كانت تتزيّن بها الجريدة المذكورة، فهذا الشّعر هو معركة أخرى شرسة ضدّ عدوّ متعجرف ظالم له دور في قدْح زناد الثّورة، والشدّ من أزر المقاتلين «نافخاً فيهم روح الإصرار والتّحدّي والصُّمود. ذلك لأنّ صوت هذا الشّعر قد بقي ممتدّاً متصاعداً في تفاعُل كبير مع أصوات الرّصاص المفتوحة في جبال الأوراس، وسهول الجزائر، وغيرها من النّقط الملتهبة الأخرى» (حوطش، 1987، ص 15).

ومثلما أشرنا إليه سابقاً، فإنّ العالم كلّه تقريباً، ولاسيّما العربيّ منه، كتب عن ثورة نوفمبر أو تغنّى ببطولات أبنائها وبسالتهم، وقد أحصى عثمان سعدي عدداً من الشّعراء العرب الذين اهتزّت أريحيّتهم فتفجّرت قرائحهم بقصائد وقصائد، وهو ما مكّنه من جمع (254 قصيدة) عن االثّورة الجزائريّة لشعراء أشقّاء من العراق وسورية ومصر [5]،إضافةً إلى قصائد أخرى من السّودان والمغرب وتونس ، وسائر الأقطار العربيّة ممّا يحول دون إيراد تفاصيلها كلّها. ذلك أنّ مصاحبة الشعراء للثّورة دفعهم إليه إلهامها لهم، وانتشاؤهم باندلاعها ضدّ الطُّغاة المستدمرين، فكانوا نتيجة لذلك يجدون متعة في الحديث عنها لا عَناءً ثقيلاً كما هو الشّأن في نظم موضوعات تأتي لذّتها فوق الخاطر، على حين أنّ الأمر مختلف هنا، لأنّ هذه المصاحبة حقّقت مُتعتيْن: «متعة الفنّ الشّعريّ بخياله وتصويره وموسيقاه، ومتعة الموضوع بزخمه وهوْله وروعته التي تركت آثارها في نفوس الجزائريّين، ونفوس غيرهم من العرب المسلمين والأجانب أيضاً» [6].

وأؤكّد أنّه يتعذّر على من يريد الإلمام بشعر الثورة أن يُحصي كلّ الشّعراء الجزائريين المحدثين الذين نظموا قصائد فيها، مثلما أشرنا إليه كذا مرّة، وإن تفاوتوا دلالةً ومدلولاً، ولكنّ المنْع المنطقيّ هذا لا يحول دون إيراد بعض الأمثلة ممّا تغنّى به بعضهم، فقد أنشد لها كلّ من محمد العيد، وحمود رمضان، ومحمد الأخضر السّائحي، ومفدي زكريّاء، وصالح خرفي، وصالح خبشاش، وعبد القادر السّائحي، وسعيد الزّاهري، وصالح خباشة، وغيرهم.

وقد تعدّدت موضوعات ثورة نوفمبر تبَعاً للأحداث التي هيّأت لها، أو التي أُنتجت بالتّوازي معها، وأهمّ القضايا التي عالجناها في هذا البحث هي:

أ – قصائد هيّأت للثّورة.

ب – الابتهاج باندلاع ثورة نوفمبر.

ج – الاحتفاء بالمقاومة الشّرسة لجيش التحرير الوطني.

د – دور المرأة في إذكاء نار الثّورة.

هـ – رفض التّفريط في شبر واحد من أرض الجزائر.

و – بشائر النّصر.

أ – قصائد هيّأت للثّورة:

إنّ الشّعراء أكثر حماساً وأعمق إحساساً وأصدق تعبيراً عمّا يُخالج المجتمع من أفكار، وما يكتنف طبيعته من أسرار، فالشّاعر بما أوتي من حدْس ينظر دائماً إلى ما وراء الواقع، ويتطلّع بحاسّته السّادسة إلى آفاق تغيب غالباً عن الإنسان العاديّ، وهو حال الشّعراء الجزائريين الذين رفضوا الأمر الواقع للمحتلّ، ولم يهِنوا أو يستكينوا إزاء جبروته ؛ بل رفعوا راية الشّعر في وجهه، ونظموا قصائد حثّوا فيها الشّعب على المقاومة والاستبسال، ورفْض كلّ مخطّط للإدماج ؛ ودفعوا به إلى انتفاضة حقيقية لا تبقي له أثرا ولا تذر، وقد أهاب الشاعر محمد اللقاني بن الشيخ ببني الجزائر إلى نبذ النوم والاستكانة للمحتلّ، وإعلان الثورة الحمراء عليه حاميا وطيسها، فقال:

بني الجزائر هذا الموت يكفينا لقد أغلت بحبل الجهل أيدينا

بني الجزائر هذا الفقر أفقدنا كل اللذائذ حينا يقتفي حينا

بني الجزائر هذا اللهو أوقعنا في سوء مهلكة عمت نوادينا

بني الجزيائر ما هذا التقاطع من دون البرايا. عيوب جمعت فينا

فقر!! وجهل!! وآلام ومسغبة يا رب رحماك هذا القدر يكفينا [7]

فهذا الخطاب الذي تكرر بوساطة النداءات التي جاءت تترى يحمل إباءً ويتبجس حرقة لما آل إليه الوطن وأهله متجاهلون، فحياتهم تجهيل وتفقير وتشريد وتحقير، وهذا كله وقود للانفجار في وجه المستدمر وإذاقته الموت الزؤام.

ويحضّ في أبيات أخرى على نبذ الفرقة والجنوح للشعر الغزليّ الأجوف الذي يكتنفه خيال مغرق في الابتعاد عن الواقع والاشتغال بدلا من ذلك بحماية الوطن والذود عنه بشعر لا تزمت فيه ولا ابتعاد عن احتضانه، فقال:

ألا فدع التغزل في غوانٍ فتلك طريقة المستهترينا

وما شأن المدامة في كؤوس بها تستنزف العقل الثمينا

فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا [8]

وكان من الذين عملوا على الدفع بالشّعب إلى الثورة على المحتل البغيض أيضا الشاعر حمّود رمضان الذي صرخ في ألم وتأثّر عبر ما أودعه في قطعته الحزينة، فقال :

أيّها الضّاحكونَ والشّعْبُ باكٍ من صُروف به تُشيب الجنينـا

ذابَ قلْبي وماتَ جِسْمي شهيداً من هموم تنْهال كالغيْث فينـا

يا إلهي، وأنتَ تعْلمُ سـرّي بيْنَ قوْمي صرْت الغريب الحزينا
عجّل النّصْر للبلاد فإنّـا لِمَهاوي البَلا نُساقُ عِزينـا
يا حبيب القلوبِ مهْلاً فإنّـي بالفداء لا أكونُ عنك ضنينـا

إنّه الشّاعر الثّائر في خطابه وفي شخصيّته على الأوضاع المزرية التي كان شعبه يحيا في جحيمها؛ فهو، وإن لم يُمهله الأجل ليشاهد آلاف الفظائع والجرائم التي اقترفها الاستدمار الفرنسي في حقّ الجزائر وأبنائها، فإنّ ما رآه إبّان حياته القصيرة كان كافياً ليدفعه إلى الثّورة عليه، وعقْد الأمل العريض على المستقبل، وهو كلّه تفاؤل بالنّصر وتحرير الوطن من أيدي الغاصبين المحتلّين، لذلك أدرجنا شعره هنا،كما لو أنّه كان غداة الثّورة الكبرى.

ومن شعر الشّهيد الرّبيع بوشامّة أبيات من قصيدة يفضح فيها الاستدمار الفرنسيّ ويسخر من ادّعاءاته الرّأفة والرّحمة؛ متظاهراً بذلك مع الحيوان، ميد أنّه حين يتّصل الأمر بالإنسان الجزائري تراه يتعالى ويتجبّر ويطبّق مختلف الطّرائق الجهنّميّة في التّعذيب والتنكيل، من غير مراعاة لمزاعمه التي يُغطّيها بالعطف على الحيوان، وكأنّ الذّئب أو القطّ أو الفأر أفضل وأولى من الإنسان، وهذه مصيبة المحتلّ الذي لا يرعوي أن يرتكب الجرائم ويُبيد الآلاف والملايين من غير اعتبار لهم، والأبيات مع ذلك ليس فيها ذلك الصّوت المجلجل الذي لمسناه في النّماذج السّابقة، وإنّما جاءت تحمل تساؤلات وتعجّبات لا تكاد تهزّ العدوّ، عبر كلمات خالية من الشّعريّة؛ مثل قوله:

كيف ادّعيْتَ الرّفق بالحيوان وظُباكَ تعْثو في بني الإنسان
تسْطو على المسْتضْعَفين بقوّةٍ وتُذيقهمْ بؤساً وكلَّ هَوانِ
وتُسيلُ أنهارَ الدّماء من غير ما رُحْمى، وأنّ العطف من ذُؤْبانِ
وتُبيدُ أحرار البلاد وتعتدي جهْراً على حريّة الأوطان (قنان،1994،ص243)

وللشّاعر محمد العيد آل خليفة قصائد قالها قبل الثّورة يفضح فيها جرائم الاسْتدمار الفرنسيّ، ويشرّح أفعاله الخسيسة التي اقترفها في حقّ الشّعب الجزائري الذي يدعوه إلى المقاومة عبر قصيدة نظمها إبّان أحداث 8 ماي 1945م[10]، فقال:

أأكْتُمُ وجْدي أوْ أُهدّئ إحْساسي (وثامن ماي) جرْحه ما له آسي
وأرْقُبُ ممّنْ أحْدثوهُ ضِمادَهُ وهمْ في جِماحٍ لم يميلوا لإسلاس
تمرُّ الليالي وهْو يَدْمي فلم نجد لهُ مَرْهَماً منهم، سوى العُنْفِ والباسِ
إذا ما رجوْنا بُرءهُ ثرَّ دافقاً بأحداث سوء وقْعُها مؤلمٌ قاسي
فيا لجريحٍ ظلّ يَنْكأ جُرْحه ويُؤذى بلا ذنْب على أعْيُن النّاس

ويا لضعيفٍ في الشُّعوبِ مُعذَّبٍ غدا تحت نيرِ الظُّلْم مُنْحنيَ الرّاس
يَضِجُّ ويسْتعْدي بغير نتيجةٍ ويَشْكو بلا جَدْوى إلى غير إحْساس [11]

ونقف تارة أخرى مع أمير الشّعر المغاربي محمد العيد آل خليفة لأنّنا ما نظنّ أنّ شاعراً مثله لا يتغنّى بالثّورة، وهو الذي اكتوى بلظى عذابات الأعداء، وطالتْه إهاناتهم المتكرّرة له، ومسّته اعتقالات وتضْييقات، ولكنّه ظلّ ثابتاً كالأساس، شامخاً كغصن شجرة سرو في قمّة جبل إزاء العواصف الهوْجاوات، تُميله يمنة ويسرةً ولكنّه يعود إلى شموخه واستمساكه بموقفه البطوليّ ضدّ الدّخيل الأجنبيّ.

وقد حفل ديوانه بعشرات القصائد التي تمجّد الوطن وتُبجّل الثّورة حتّى قبل تفجيرها، وبالرّجوع إلى هذا الدّيوان يتجلّى أنّه أنشد قصائد فيها دعوة إلى الثّورة وتوطئة لها في محافل ثقافيّة مختلفة ممّا جرّ عليه نقمة الاستدمار، وتسبّب له في الاعتقال والإبعاد كذا مرّة. بيد أنّه ظلّ وفيّاً لأمّته ولبلده، وما سجّل التّاريخ عليه أنّه كان من المرجفين ولا من المرتجفين إزاء جبروت الطّغاة الفرنسيين، بل إنّه أعلنها حرباً ضدّهم منذ أن تفجّرت موهبته الشّعريّة، فقال دون مراوغة أو تمْلمل داعياً غيره من المبدعين والنّيّرين في المجتمع إلى الالتفاف حول شعبهم ومشاركته الأفراح والأتراح؛ فقال:

قفْ حيث شعْبُكَ مهْما كانَ موْقفه أوْلا، فإنّك عضْو منه مُنحَسِـمُ
تقول أضْحى شتيتَ الرّأْي مُنْقسماً وأنت عنه شتيتُ الرّأْي منقسـمُ
فكنْ مع الشّعْب في قـوْل وفي عملٍ إنْ كنت بالرّجل الشّعْبيّ تتّسـمُ
ولا يرُقْك شَفيف الـذّات مائعُهـا كالماء في وُجوه النّاسِ ترْتسـمُ
أعْدَى عِدى القوْمِ منْ يُعْزى لهمْ نسباً ويَسْمع القدْح فيهمْ وهْـو يبْتسـمُ! [12]

قد تكفي محمد العيد هذه الصّرخة عبر الأبيات التي دعا فيها غيره من المبدعين والمفكّرين والمتنوّرين وسائر الطّبقات الاجتماعيّة إلى مساندة شعبهم والذّود عنه والتّصدّي بدون هوادة إلى خبث المعتدي وآرائه المسمومة، فهو يرفض كلّ امرئ لا مُبالٍ يظلّ متفرّجاً من بعيد على ما يحدث لأمته، ويُبصّره بضرورة الانتماء الحقّ لوطنه وليس الاعْتزاء الشّكليّ الذي يحشر نفسه في زمرة شعبه وهو غير مكترث بما يُصيبه ويُعنّيه، لأنّ المواطن الصّادق هو الذي يكون معه قولاً وعملاً لا تفرُّجاً وابتعاداً.

ب – الابتهاج باندلاع ثورة نوفمبر:

لقد سيطر الأمل على الشّعراء الجزائريين واستبشروا بولادة فجر جديد عمّ ضياؤه مختلف جهات الوطن، وانطلقت مواهبهم الشّعريّة من قيودها لتتغنّى بوشوك الخلاص من المحتلّ الظّالم الذي لم يرحم صغيراً ولا كبيراً ولا شيخاً ولا رضيعاً، ومن الشّعراء الذين احتفوا بها، يرد اسم الشّاعر صالح خرفي الذي خصّ شهر نوفمبر بتحيّة خاصّة، وآثره على سائر الشّهور الأخرى، لأنّه هو الشّهر الذي جاء فيه الحقّ وزهق الباطل، وهو الشّهر الذي فضح دسائس فرنسا

المغْتصبة وجيشها المندحر ببطولات المجاهدين وتضحيات الشّهداء، وانصهار الشّعب في بوتقة واحدة؛ ولذلك يُعلن معانقة هذا الشّهر واحتضانه فيقول:

بايعْتُ من بين الشُّهور نفمبرا ورفعْتُ منه لصوت شعبي منْبرا

شهر المواقفِ والْبُطولةِ قِفْ بنا في مسْمع الدُّنيا وسجِّلْ للورى

فلأنت مطلَعُ فجرنا وزنادُ بُرْكا نٍ، أثرْتَ كمينهُ فتفجّرا

دوّتْ بمطلعكَ الخصيبِ رصاصةٌ فاهتزّت (البيضاءُ) وانتشت الذُرا

وانداح فجرك عن مَصَبٍّ من دم الأحرا الأحرا ر، فانْتعش الجَديبُ وأزهرا

قدّسْتُ فيك النّارَ تلتهمُ الدُّجى فتُحيل ظُلْمتهُ لهيباً أحمرا

قدّسْتُ فيك الموتَ مُفْتخِراً بمنْ يعْلو المفاصلَ كيْ يَتيهَ ويفْخــــــــــــــــــرا

(خرفي،1968، ص 169)

وللشّاعر خرفي قصائد عديدة ضمها ديوانه (أطلس المعجزات) تتفجّر كلّها فخراً بالثّورة وتفضح جرائم الاستدمار الفرنسي، وتتغنّى ببطولة الشعب الجزائري ذكراناً وإناثاً وشباباً وشيباً، وهو في الأبيات الآتية يجأر بثورته ضدّ المحتلّ، ويذكّره بجزائمه كي يحفرها في ذاكرته السوداء، وينشرها في صفحات تاريخه الملوّث بالاندحار والانكسار ، فيقول:

لهـــبٌ يعْتلـي، وخصْمٌ يئـنُّ مَنْ يـرد العــذاب عنـه ويحْنـو

سنواتٌ في إثْرها سنـــواتٌ وجِبـاهُ الطُّغـاة للنّار تَعْنــو

ثورة كالأتون فتْكاً، فويْـــلٌ ودمـارٌ علـى الـذي منه يـدْنـو

كمْ أطاحتْ بقائــد ووزيــرٍ وتَداعى بها إلى الأرض رُكْــنُ

أين (مولي) وأين منه (مُنوري) [13] أين من يُظْهر العِدا، أوْ يُكِــنُّ

حُلُمٌ ساقَهُ الدُّجى فتلاشـــى وتملّى بطلْعة الصّبْحِ جَـفْــنُ [14]

إنّ (خرفي)، وهو الشّاعر الملتزم الذي شرب من محن الثّورة حتّى فاضت كأسه، ورأى بأمّ عينيه ما قامت به جيوش الاستدمار من تخريب وتدمير وتقتيل وتشريد لم يعرف فمه الابتسامة، لأنّ النّشوة إزاء ما يحدث في بلاده خيانة، ولذلك كان متجهّماً في هذه الأبيات غاضباً ثائراً مُذكّراً المحتلّين بجزائمهم المنكرة التي تلقّوها على أيدي أبطال جيش التّحرير، ممّا أدّى إلى إسقاط حكومات لهم تواليًا تناثر وزراؤها كأوراق الخريف، ويُذكّرهم بأسماء (عظمائهم) الذين انتفضوا وأرغوا وأزبدوا، وزعموا أنّهم سيُجْهضون ثورة نوفمبر في ربع ساعة، فإذا هم الذين يُكّنسون ويُقْصَون من السّاحة قبل الأجل المحتوم!.

ومن الذين تغنّوا بنشوب نار الثّورة أيضاً أبو القاسم سعد الله [15] الذي يقول:

كان حُلُماً واخْتمــارْ
كان لحناً في السّنيـنْ
كان شوقا في الصّدورْ
أن نرى الأرض تثـورْ
.....
غير أنّ اللّيلة الغرّاء شقّتْ عن بطولة
والنّداء الحرّ قد هزّ الرّجولـــة
والشّتاء السّادر المقْرور قد عاد ضِرام
والولاء الوافر المخْدور قد عـاد انتقامْ (ثائر وحب، 1967، ص32-34)

فأبو القاسم سعد الله جدّد في القصيد كأنّه يشير بذلك إلى أنّ هنالك ثورة في كلّ شيء، أو أنّ الثّورة الشّعريّة ما ينبغي لها أن تتخلّف عن الثّورة المسلّحة، فجاءت قصيدته خفيفة راقصة تُنشد بلا مُعاناة، وتتابع فيها الأفكار دون تعقيد باعتماده على الإيقاع الرّاقص الذي يهزّ الأسماع في الأبيات الأولى، قبل أن يتغلغل في الصّور التي وسمت الأبيات الباقية، حينما تحوّل الشّتاء البارد إلى جحيم تتلظّى ناره لتحرق أعداء الحريّة والأمن، وليتحقّق الظّفر على العدوّ وانتحاره المحتوم.

والواقع أنّ الفرح بانفجار الثّورة هو القاسم المشترك بين الشّعراء الجزائريين الذين هلّلوا وانتشوا؛ منهم أبو القاسم خمّار الذي قال:

وثـــار القَـــدَرْ
وقامتْ زوابعه الهائجـــة
تصارع أيّامنا الهاجعـــة
وفتّحت عيني فكان الظّلام
ولم أرَ غير الضّباب الكثيفْ [16]

هي طبيعة الشّعر الثّوريّ الذي جاء على هذا النّسق المتتابع، كسر أصحابه الأوزان الآلية التي سادت الشّعر الجزائريّ قبل هذه المرحلة، فكأنّ التّجديد في الشّعر هو تعبير عن التّجديد في الحياة، أو هو انعكاس لما آلتْ إليه، وهو ما يُترجمه هذا النّصّ الذي أسند الثّورة للقدر، ولا أحد بإمكانه مصارعة القدر أو مخالفته أو الحيلولة بينه وبين ما يحدث؛ هذا القدر الذي نثر زوابعه الهائجة في كلّ البيوت والأسر لتوقظ السّاهين الغافلين، ومنهم الشّاعر الذي فتح عينيه بعد أن تناهى إلى أسماعه الصّخب المهول، فلم يُبصر إلّا الدّجى يسدل ستائره على الكون، ثمّ رجّع البصر فلفّه ضباب كثيف، وهذا الضّباب الذي أضاف له صفة (كثيف)، هو رمز للأدخنة التي انتشرت عبر أرجاء الوطن، وهو أيضاً رمز

لتلك اللّيلة الحالكة الدّاجية من أيّام نوفمبر، حيث الخوف يلُفّ الجبال والسّهول والرّوابي، ولم يكن هنالك إلا ضراغم أو ضُبارم، فهم قد آمنوا بالانتصار، وقرّروا التّصدّي لكلّ النّعالب التي احتالت على عرائنهم فحاولت اتّخاذها أوجاراً لها!.

ومن الشّعر الثّوريّ الجزل الذي ضمّنه صاحبه صوراً من صور الوصف للابتهاج بالثّورة ما تغنّى به الشّاعر الطّبيب محمد الصّالح باوية[17] في قوله:

دَمْدمَ الرّعْد وهزّتْنا الرّياحْ حطّموا الأغْلال، وامْضوا للسّلاحْ

حطّموها، واهْتفوا ملْءَ الأثيرْ يا فرنسا اشْهدي اليومَ الأخيرْ [18]

هما بيتان من قصيدة للشّاعر تُغْنيان عن الباقي من الأبيات، فهما يحملان صورة مدوّية للثّورة ضدّ المحتلّ الدّخيل عبر كلمات مجلجلة تَرْدادُها زلزال رهيب للعدوّ، فالرّعد يتلوه الطّوفان الذي يجرف كلّ ما يُصادفه في طريقه، والرّياح العاتية تأتي على الأخضر واليابس وتكسّر كلّ من يحاول التّصدّي لضرباتها الشّديدة. ويأتي فعل الأمر ليُعبّر بوضوح عن دعوة الشّاعر إلى حمل السّلاح، والمضيّ في الكفاح، وتحطيم الأغلال والقيود، وحينئذ يخلق أن نُنشد أناشيد الانتصار على فرنسا وإرهابها بأنّه قد انتهى جثومها على أرضنا الطّاهرة، وأنّه قد حام حيْن ارتحالها عنّا إلى الأبد!.

ويصرخ الشّاعر صالح خباشة [19] في وجه فرنسا الحالك وفي وجه أعداء الجزائر قاطبة بقصيدة عنوانها: «صرخة ثائر»، موظّفاً فعلاً طلبيّاً «اسمعوها»، وكأنّه يريد أن يستقطب الأنظار نحوه قبل أن يكشف عمّا وراء فعل الأمر، فيُحدّد مدلول عبارته بأنّه يريد صرخة الثّوار، وهدير المدفع والرّشّاش، لأنّ الاستدمار الفرنسيّ وأعوانه من الحلف الأطلسيّ لم يُبالوا بالكلام، ولم يصغوا للنّداءات المتكرّرة التي حاولت أن تدفعهم إلى مغادرة أرض الجزائر، فجاء الرّشّاش والرّصاص والمدفع ليرغمه على الانجلاء إلى ما وراء البحار، فالشّعب الجزائريّ قد انتفض انتفاضة الأبطال، وآمن بوحدته وانتصاره،

ويُقسم الشّاعر بثأره حتّى لا ينسى، وأنّه سيظلّ متأبطاً سلاحه إلى أن ترفرف راية الحرية خفّاقة في كلّ شبر من أشبار الجزائر، كما أنّه يبعث اليأس في نفوسهم بأنّهم لن يبقوا في أرض الجزائر من الشّمال إلى الجنوب، وأنّ عليهم أن يفرّوا بجلودهم قبل أن تحرقهم نار الثّورة التي انتشر لهيبها في كلّ مكان، ولن تُخمد إلا بعد تحقيق الهدف الذي من أجله تفجّرت وفي سبيله اتّقدت، فيقول:

اسْمعوها صَرْخةً مـنْ كـلّ ثائـرْ صرخــةَ المـدْفـعِ والرّشّـاش هـادرْ

وحدةَ القُطْر وشعبي في الجزائرْ غايـةَ الثـوّار فـي أرض المِفـاخـرْ

يـا بـلادي أنـا أقْسـمت بثـ أُري أنــا دون النّصــر لا تُخْمَـد نـاري

لــن تمَسّوا اليوْمَ بالتّقْسيم داري لـن تمُـدّوا يـدكُـم نحـوَ الصّحـاري

فاسْمعوها صرخةً من كـلّ ثائرْ لن تَنالوا أيَّ شبرٍ في الجـــــــــــــــزائرْ

(خباشة، 1970، ص164)

وتاريخ الثّورة مسطور في ديوان خباشة، حيث أوضح في مطلع قصيدته «صرخة الحرّ» بأنّه أنشدها في ديسمبر من عام 1954م[20] ، والتي يقول فيها:

يا فرنسا، هلْ خَرسْتِ اليومَ عيّا أمْ تلقّيْتِ جـــــــــوابي عمليّا!

كنتِ جذْلى كفـــــــــراشٍ يتغنّى لا يرى النّارَ له مـــــوتاً وحيّا

فلقـــــــدْ ذُقْتِ جحيمي ولظاها وسأُصْليكِ صبـــــــــاحاً، وعشيّا

نضِجتْ منـــــــــكِ جلودٌ، بدِّليها فسـعيري – إنْ تغافلْتِ – مُهيّـــــــــا

(خباشة، 1970، ص164)

هو إعلام لفرنسا وتحذير لها، وتذكير بهزائمها المنكرة التي كثيراً ما تكبّدتها إبّان الثّورات السّابقة قبل ثورة نوفمبر، ومع ذلك لم تُجْد فيها الدّروس التي لُقّنت، وهي ما تبرح مُصرّة على التّظاهر بقوّتها وصلفها؛ متجاهلةً التّاريخ الأسود لجرائمها، بيد أنّ هذا لن يزيدها إلّا دحراً وانكساراً وخيبةً وإحباطاً، فقد انبرى الشّعب بمختلف مكوّناته لها، وعزم على قهرها وإجلائها إلى غير رجعة.

ولمحمد العيد قصائد تمجّد الثّورة إثر اندلاعها ، وهذا ليس بغريب عليه، لأنّه تشرّب الوطنيّة منذ نُعومة أظافره، وظلّ الحارس الأمين للأمّة يُحارب الطّغاة والمترفين؛ مثلما أسلفنا، ويُنافح عن اللغة العربيّة والإسلام، وينبذ كلّ تفرقة أو تشتيت للأمّة، وقصائده الثّوريّة تتوزّع زمنيّاً قبل الثّورة وبعدها، وقصيدته (ثامن ماي) التي غدت أنشودة يترنّم بها كلّ غيور على وطنه وأمّته قد حملت في مضمونها ما يحثّ على الثّورة، ويهيّئ لقيامها، إلى جانب قصائد أخرى أنشدها قبل الثّورة، أمّا في أثناء الثّورة، فإنّ لسانه ظلّ يلهج ببطولة أبناء الجزائر وانتصاراتهم الباهرة على جيش العدوّ وأعوانه؛ وكان محمد العيد من السّبّاقين للاحتفاء بها والتّأريخ لأحداثها وذكر الدّواعي التي فجّرها الشّعب من أجلها، ووجّه خطابه المشحون بالغضب والتّهديد لفرنسا الاستدماريّة فكان مؤرّخاً لها مخلّداً ما حدث في أثنائها،فيقول:

زحفْنا عليها نزْدَري بعَتادها وبالنّار والبارود نَصْهرهُ صَهْرا

وفي النّار والبارود أبلغُ حُجّة تردُّ بها الدّعوى على منْ طغى كِبْرا

صَبَرْنا على المكْروهِ حتّى أمضَّنا وذُقْنا من الإرْهاق ما يَفْلقُ الصّخْرا

فلمّا أبى إلّا العُتُوَّ عدوُّنا وما زاد إلّا في الغُرور به سُكْرا

نهضنا إلى الغارات نمحو غروره بحدّ المواضي، فارْعوى وصحا فكْرا [21]

ويأتي الآن دور أعظم شاعر عرفته الثّورة حتّى نُسب إليها ونُسبت إليه، ولا ينتظر المتلقّي طويلاً ليستكشف وحده من هو؟ .. إنّه الشّاعر مفدي زكريّاء الذي التحم شعره مع الثّورة واصطبغ بها، حتّى غدا أشهر من نار على علم في الأقطار العربيّة كلّها، فقد أوتي صوتاً جهوريّاً ووُهب إلقاءً مُجلجلاً يُزلزل السّامع، ومُنح موهبةً شعريّة غطّت على كلّ

الشّعراء الجزائريّين في هذا المجال الثّوريّ، وما نحسب أنّ أحداً يُصارعنا في هذا الحكم أو ينقض رأينا بمن في ذلك الشّعراء أنفسهم.

وهذه الشّهرة الواسعة للشّاعر جعلت اختيار أبيات من ديوانه الذي ينوب اسمه عن محتواه: «اللهب المقدّس» مستعصية، ولكن هذا لا يحول دون أبيات من ديوانه الذي استفتحه بكلمة يقول فيها: « ديوان اللهب المقدّس الذي طُبع عام 1961 – والمذابح على أشدّها – أنصع وجه مشرق بثورتي الانعتاق، والانطلاق، بمُواكبته خطوة خطوة مختلف أحداث الجزائر الثّائرة » (مفدي زكرياء، 1973).

ومن شعره في الديوان المذكور قصيدته العصماء التي أنشدها بمناسبة ذكرى احتلال الجزائر عام 1959م يفضح فيها المستدمر الفرنسيّ، ويُلقي أسئلة أمام محكمة الخيال، ظلّت عالقة عمليّاً ولكنّها أُجيب عنها ضمنيّاً، عنوانها: « وتكلّم الرّصاص جلّ جلاله!!» تلُفّه الحيْرة ممّا يرى ويُشاهد، ليس في نفسه، ولكن ممّا يجري، فالأكباد انفطرت، والقلوب من بواطنها انتترت، والرّؤوس انحصدت، وهذه الحالات حدثت فأحدثت لهيباً متّقداً وأجيج نار مشتعلاً حتّى تساءل في تعجّب: أهذه جهنّم فغرت فاها، أم زلزال إلهيّ رجّ هذه الأرض فزلزلت زلزالها؟! يقول فيها:

أكْبادُ منْ..؟ هذي التي تتفَطَّرُ؟ ودماءُ مَنْ..؟ هذي التي تتقطّرُ؟

وقلوبُ من.؟ هذي التي أنْفاسُها فوق المذابِحِ للسّما، تتعطّرُ؟

ورؤوسُ منْ..؟ تلكَ التي ترْقَى إلى حبْل المشانق، طلْقةً تتبخترُ؟

ومن الذي ..؟ عُرْضَ الجزائرِ شَبَّها من كلّ شاهقةٍ، لظىً تتسعَّر؟

أجهنَّمٌ .. هذي التي أفْواهُها منْ كلّ فجٍّ، نقْمةٌ تتفجَّرُ؟

أمْ أرْضُ ربِّك زُلزلت زلزالَها لمّـــــــــا طغى، في أرضه، المستعمِرُ؟

(مفدي زكرياء، 1973، ص133).

ثمّ ينقل التّساؤل نحو الجزائر ليربط كلّ ما سبق بها، فهل هي التي تميّزت من الغيظ؟ أم أحرارها الذين أُهينوا في كراماتهم وأعراضهم ذكروا ما سامهم من المحتلّ الجائر فقرّروا أن يثوروا؟!.

ومن هذه التّساؤلات يُفْصح عن السّرّ ، وما هو بسرّ، بأنّ أرض الجزائر وسماءها تحالفا على دحْر العدوّ فكان النّجيع الأحمر هو الشّهادة، وقرّر جبل «الأطلس الجبّار» الجهاد فاندكّ بقوّته وصلابته جيش «الحلْف الأطلسي» المتغطرس المتعجْرف هو وعُدّته وعدده، وحينما شمّر الشّعب على بكرة أبيه إلى الجهاد، تكلّم الرّشّاش فتعطّلت كلّ لغة أخرى ممّا أحدث رجرجة في الدّنيا وصخباً وجزعاً لعبوديّة الاستدمار وقيوده، فقال:

غَضبُ الجزائرِ ذاك..؟ أم أحرارُها ذكروا الجِراحَ، فأقْسموا أنْ يثْأروا

و«الأطلسُ الجبّارُ» بثَّ قرارَهُ فاندكّ منه «الأطلس» المتجبّرُ

والشّعْبُ أسْرعَ للشّهادةِ عند ما ناداه (عقْبةُ) للفداء و(حيْدرُ)!

وتكلّم الرّشّاش، جلّ جلاله .. !! فاهتزّت الدّنيا، وضجّ النّيِّرُ

(مفدي زكرياء، 1973، ص134).

وأنشد في مهرجان شباب الجزائر في شهر أوت 1960 قصيدة ذكّر فيها الحضور بواجبهم نحو بلدهم، وسرد عليهم جانباً من معاناة شعبهم مع المحتلّ البغيض، وما اقترفه من جرائم لا تُصدّق في حقّ الأبرياء ، وأوصاهم بضرورة ترداد ذكر الثّورة وأحداثها فيما بينهم وفي أقسامهم لتظلّ ملاحمها ماثلة في نفوسهم، فشعبهم قد عانى الويلات من المحتلّ المتسلّط، ونبّههم إلى الاستمساك بحبل الأمّة والوطن، لأنّ الذي يتجاهل ذلك إنّما هو عاقّ ناكر لجميل بلده، كما حثّهم على تذكُّر قوافل الشّهداء الذين وهبوا حياتهم رخيصة لتحيا الجزائر وتتخلّص من قيود العدوّ الذي ظلّ جاثماً على أرضها الطّاهرة قرنا وثلاثين سنة، وألهب فيهم مشاعر الحماس والغيرة على أمتّهم وتخليد تاريخهم بيد، ورفع العلم الوطني بيد أخرى، فيقول:

أنتمْ أكبادُ شعبٍ ثـــــــائرْ قـــــام بالنّار يـــــردُّ المعْتدي

إنّ شعباً عقَّهُ أبنـــــــاؤهُ ويْلتاهُ ... ليتهُ لـــــــم يلِدِ

فاذْكُروا الثّورةَ في أقسامكُـــــمْ إنّ ساحاتِ الـــــوغى (كالمعْهد) !

واقْرأوا فيها كتابَ الشُّهـــــــدا فهْو وحْيُ اللهِ، في مُـــعْتقَدي

واذْكروا شعْباً، على أشْلائـــــه قامَ في ســـوق الْمَنايا، يَفْتدي

من قتيلٍ، يَـــتنَزّى دمُـــــــهُ وسجينٍ، وشريـــــــــدٍ مُبْعَدِ

فاكْتُبوا العِـــــزّةَ فيـــــهِ بيدٍ وارفعـــــــــــــوا الرّايـــةَ فيهِ بيدِ

(مفدي زكرياء، 1973).

إنّ مفدي زكريّاء هو المؤرّخ الأدبيّ لثورة نوفمبر من الوجهة الشّعريّة، فقد تعدّدت قصائده، وتنوّعت موضوعاته التي حامت كلّها حول ثورة نوفمبر حتّى غدا عسيراً على الدّارس أن يُدمجه مع الشّعراء الآخرين في الموضوعات الثّوريّة، لأنّه هو وحده يكاد يغني عن أي شعر آخر قيل في تخليدها والتّغنّي بها، بيد أنّه من الظُّلم للشّعراء الجزائريين الآخرين أن نجزم بهذا الحكم، لأنّ كلّ من حاينَ هذه الثّورة قد أعلن انتماءه لها والارتماء في أحضانها، وما من شاعر عاش في تلك الفترة العصيبة إلا وصرخ بشعره في أوجه الثّعالب المحتالة التي كانت تختبئ في الكهوف، أو تتوارى داخل البُروج المحصّنة، فلم يُجْدهم ذلك فتيلاً؛ يقول مفدي زكريّاء مهلّلاً ومُستبشراً باندلاعها:

يا ثورةَ التّحريرِ، أنتِ رسالةٌ أزليّةٌ، إعْجازُها، الإلْهامُ

لكِ في الجزائر، حُرْمةٌ قُدْسيّةٌ وبكلّ قلبٍ في الوجود، هُيامُ

الشّعبُ، أنتِ ضميرُهُ، وصوابُهُ والجيشُ، أنتِ دِماغُهُ العلّام

(مفدي زكرياء، 1973، ص42).

ويسخر من فرنسا في القصيدة نفسها حين جنّ جُنونها من المقاومة والثّورات المختلفة فزعمت أنّ الجزائر فرنسيّة، وإذا كان الجنون صُنوفاً وأنواعاً فإنّ جنون فرنسا من نوع المهْلك لصاحبه، وحالها شبيه بلصّ يسطو على ما ليس له خِلْسة في جُنح الدّجى، ثمّ يزعم أنّ هذا الذي في يده هو من ممتلكاته، فهل يُصدّق أحد هذا الادّعاء؟!..أبداً، ولكن لا عجب في ادّعاء فرنسا بعد أن فقدت عقلها وأضاعت صوابها والضّلال والخساسة من شيمتها، فقد أصابها اعتلال في الرّأي، وسقم في التّدبير، فما درت ما تصنع، ثمّ إنّ من يسرق الأحرار [الزُّعماء الخمسة] في السّماء لا يستنكف ولا يستحي أن يسرق شعباً بقضّه وقضيضه، وهذا الصّنيع لا يصدر إلا عن لصّ سفيه وضيع، أو مجنون هجين زنيم؛ يقول:

زعمتْ فرنسا في المحافل ضِلَّةً ... مُلْكَ الجزائرِ ... والجُنونُ غرامُ

كاللصّ يسْترق المتاعَ ويدّعي ... مُلْكاً ... أيُسمع للّصوص كلام؟!

لا تعْجبوا، فالقومُ ضاع صوابهمْ ... يا ناسُ، ليس على المريض مَلامُ

منْ يَسْرِقِ الأحرارَ في كبد السّما ... يسرقْ شُعوباً، واللّصوصُ لئامُ!

(مفدي زكرياء، 1973، ص47-48).

ويقف الباحث حائراً إزاء قصائد شاعر الثّورة: ما ذا يصطفي وما ذا يدع؟ وهل اختياراته وجيهة أو هناك ما هو أبلغ وأعمق تأثيراً؟ !.. هي أسئلة تراود كلّ مقبل على البحث في هذا الموضوع، أو لعلّني أنا فقط أُصبت بالذُّهول وأنا أقلّب ديوانه، وسبق أن أعربْت عن هذا الانشغال الذي لفّني إزاء شعره!. ومع ذلك، فلا بدّ من تسجيل نموذج آخر ارتأيْت أن يكون ألصق بشهر نوفمبر، وأروع من الوجهة الإيقاعيّة، فقد نظم يوم فاتح نوفمبر عام 1958م قصيدة بمناسبة الذّكرى الرّابعة للثّورة موسومة: «اقرأ كتابك»، وهو في غيابات سجن (البرواقية) العفن المظلم، وبعث بها إلى صوت العرب حيث أُلقيت بالنّيابة عنه، يقول:

هذا (نوفمبرُ)، قـــمْ! وحَيِّ المدْفعا ... واذكُرْ جهادَكَ... والسّنينَ الأرْبَعا [22]

واقرأ كتابكَ، للأنـــام مُفَصَّلاً ... تقرأْ به الدّنيا الحـــديثَ الأرْوعا!

واصْدعْ بثـورتكَ الرّمـــانَ وأهْلَهُ ... واقْرعْ بدولتـــك المرى و(المجْمعا)

واعقدْ لحقّكَ في الملاحم نَـــدْوةً ... يقفِ السّلاح بها خطيباً مِصْقعا!

(مفدي زكرياء، 1973، ص53).

فهذا الصّوت المجلجل الذي يطغى على القصيدة كلّها من خلال الوصف الذي يحمل في مضمونه رجّاً زلْزل به العدوّ ومن شايعه من المجامع الكاذبة، فكتاب نوفمبر جليّ السّطور، واضح الخطوط، لا إبهام فيه ولا غموض، بعد أن تكلّم صوت المدفع وتكرّرت سنوات الجهاد وتعدّدت ملاحم البطولات في أرجاء الجزائر، ثمّ يقول:

وقلِ الجزائرُ ..! واصْغَ إن ذُكر اسمُها ... تجدِ الجبـــابرَ ساجدينَ وركَّعا!

إنّ الجزائر في الوجـــــود رسالةٌ ... الشّعْبُ حرّرها، وربُّكَ وقّعـــا!

إنّ الجزائر قطْعةٌ قُدْسيّةٌ في الكون لحّنها الرّصاص ووقّعا

وقصيدةٌ أزليّـــــــةٌ، أبيـــــــــاتُها حمراءُ كان لها (نوفمبرُ) مطلعا!

نظمتْ قوافيَها الجماجمُ في الوغى وسقى النّجيعُ رويَّها، فتدفّعا

(مفدي زكرياء، 1973، ص 58).

هي دعوة من الشّاعر لكلّ غيور على بلده، فهو يجأر بها بفم عريض: «وقل الجزائر!»، لأنّ هذا الاسم زعزع الاستدمار، وراح يتهيّب من سماعه، حتّى إذا تناهى إليه أصابته ارتعاشة ودوران، فخرّ راكعاً وساجداً لذكرها، فالجزائر رسالة كانت مغيّبة مقيّدة، فانتفض الشّعب برمّته لخلاصها بتوفيق من المولى جلّ وعلا، وقد وصف الجزائر بأروع الأوصاف، فهي قطعة قدسيّة في الكون قام بتلحينها والضّرب على أوتار أعوادها إيقاع الرّصاص الذي تنوّعت نغماته، وهي قصيدة خالدة أبياتها تلطّخت بالنّجيع، بعد أن هيّأ لها نوفمبر المطلع والابتداء، فامتزجت قوافيها بالآلام والتّضحيّات مثلما شهدت عليه الجماجم في ساحة الشّرف، ومثلما جرى دم الشّهداء على ثراها فسقاه بلون قانٍ لا يزول ولا يَبيد!.

وبعد أبيات ركّز فيها على أنّ الجزائر التي رام لها المحتلّ البغيض أن تزول من الوجود، آضَت لها شهرة تناهت إلى سمع الأصمّ، وإلى بصر الأعمى فاهتدى بها إلى الطّريق، يخلص إلى الحديث عن الشّعب الذي أقسم على تحريرها من ربقة الاستدمار الذي التحد إلى حيل شيطانيّة مختلفة لزعزعة وحدته وتشْتيت صفوفه والعمل على إدماجه وقبْر لغته وتحريف كتابه، فما أفلح وما نجح؛ يقول:

وأرادهُ المسْتعْمرونَ، عناصراً فأبى مع (التّاريخ) أن يتصدّعا

واسْتضْعفتهُ، فقرّروا إذْلالَهُ فأبتْ كرامته له أن يَخْضعا

واسْتدْرجوهُ، فدبّروا إدماجه فأبتْعروبته له أن يُبْلعا

وعن العقيدة، زوّروا تحريفهُ فأبى مع (الإيمان) أن يتزعْزعا

(مفدي زكرياء، 1973، ص59).

ج – الاحتفاء بالمقاومة الشّرسة لجيش التحرير الوطني.

تغنّى الشّعراء بجيش التّحرير الوطني، ومدحوا خصاله وبطولته ومجّدوا إقدامه وتضحيّته باعتباره قد ترك الأهل والصّحْب والفراش الوثير، والدّفء في الغرفات، لينطلق مثل الأسود فيحيا بين الغابات والجبال والأحراش، ويتسرْبل بالجسارة والهمّة والزّحف على الأعداء حيثما حلّوا وارتحلوا من حدود البلاد إلى الحدود، وفي هذا المعنى يقول محمد العيد:

نحنُ جيشُ التّحريرِ جيشُ النّضال نحنُ أُسْدُ الفدى نُمورُ النِّزالِ
دمْدمَ الطَّبْلُ للنّفيرِ فَثُرْنا وهــززنا البلادَ كالزِّلْزالِ
واتّخذْنا من الجبالِ قِلاعاً نَقْرعُ السّمعَ بالصّدى كالْجبالِ

(مفدي زكرياء، 1973، ص390).

إنّه صوت الحقّ والنّصر؛ صوت انطلق كالزّئير من الجبال يُعلن عن نفسه، ويؤكّد قيمة هذا الجيش المجاهد واسْتعْداده للتّضحية والإقدام، وتوضيحه أنّ طبيعة هذا الجيش هي الإقامة بين الأدغال والأحراش في الجبال، وهذا المأوى الذي تخذوه فيها، منه تنطلق المعارك وتُنصب الكمائن، وتُجلجل الأصوات تخويفاً وترهيباً للمحتلّين وأذنابهم.

ثمّ يبعث جيش التحرير برسالة إلى كلّ الأصقاع تكشف عن هدفه من الجهاد، وهو أنّه يستردّ حقّاً ضيّعه الاستدمار في قرن وثلاثين سنة، وهو لا ينشُد إلاّ الحقّ ونشر العدالة، ولا يفخر أو يتعجرف أو يهاب، وإنّما يرسل ناراً تلظّى لتُحرق الأعداء، ويتغلغل في المعارك لا يُبالي بجهنّميّة العدوّ، وإنّما يقتحمها ويحوّلها نحوهم لتُبيد جيوشهم وتفني أعدادهم، وهذه الإغارة الفتّاكة هي التي دمّرت قضّهم وقضيضهم، وقبرتهم في طيّ النّسيان، وحقّقت لشعبنا الظّفر عليهم؛ فيقول:

كم أقمْنا شَواهــــدَ الحقّ فيها وضربْنا شَـــــــواردَ الأمثـــــالِ
واقْتحمنا الهيجاءَ ناراً تلَـــــظّى كلُّ صـــالٍ منّـــا بها لا يُبـــــالي
وأدرْنـــا رحـــــى الوغى فانتصرْنا وأذقْنا الأعداء مُرَّ النّكال
وقـــــبرنا اسْتعمارَهُـــــمْ وفككْنا شـــــعْبنا منْ سلاسل الأغْـلالِ

(مفدي زكرياء، 1973، ص390).

وأشاد بجيش التّحرير في قصيدة أخرى مُعدّداً محامده وأفضاله على القاعدين درجةً وأجراً عظيماً، وذكر بعض الأعمال التي قام بها في الجبال مُتحدّياً جهنّميّة الاستدمار جيشاً وأعواناً وعُدّة رهيبة بإيمانه وبسالته وترخيصه النّفس في سبيل الله. وقد تناصّ مع ما حدث لقوم عاد من هلاك بالريّح العاتية، ومع ما ورد بشأن السّنوات السّبع الشّداد في سورة يوسف (عليه السلام) ليعقبها عام مُخصب فيه الإغاثة والعصر؛ فقال:

وثـــــارَ عـــــلى جَوْر الطُّغاةِ بعاصفٍ كعاصفِ عادٍ عادَ في سبْعها الغُبْرِ
فكان على الأعداء عِمـــــــلاقَ ثورةٍ ومُسْعِرَ حربٍ في معـــاركِهِ الحُمْرِ
سَنو يوسفَ السّبعُ الشدادُ تصَرَّمـــتْ وأعْقبها عامُ الإغاثةِ والعـــــصْرِ
سلـــــو عنـــهُ أطْـــوادَ الجزائرِ إنّ في معاقلِهِ اللّاتي بها كان يسْـــتذْري
سلـــــو عنـــهُ أطْـــوادَ الجزائرِ كلَّها فغاراتُه فيها تَجلّ عن الحصْرِ

لقد غاب عنّا والقلـــــــوبُ مَـــــروعَةٌ وعـــاد إلينا بالأمــــــان من الذُعْر

(مفدي زكرياء، 1973، ص394).

إنّ الشّاعر (العيد) كان ثوريّاً حتّى النّخاع، مخلصاً لدينه ولغته ووطنه، ولم تفته مناسبة من المناسبات الوطنيّة إلا و يُخلّدها بقصيدة رقيقة مؤثّرة من غير وجل أو نُكوص، ولذلك كثرت هذه القصائد الثّوريّة ممّا يجعل الاستشهاد ببعضها يُتخم هذا البحث، وهذا ما دعانا إلى انتخاب أبيات قليلة من قصائد كثيرة له، منها الأبيات الآتية التي أشاد فيها ببطولة جيش التحرير تارة أخرى، وعاد إلى التّذكير بأعماله الجليلة التي أربكت العدوّ، وهزّت أساس الاستدمار من جذوره، واقتلعته من أصوله، تشهد على ذلك الجبال الشّمّ، والغاب الملتفّة الأشجار، والأدغال الرّهيبة التي كان يجتازها كما لو كان من جنس الضّراغم والنّمور، وهو يُطارد جيش العدوّ الفارّ من وجهه كالذّئاب العاوية!، أو بنات آوى الجائعة، يقول:

إذا جيْشُنا لاقى الفرنسيسَ ساقـــــهمْ فُلـــــــولاً إلى قفْرٍ فكان لهمْ قبْرا

ســــلوا عنـــــه «أوراس» العتيدَ فرأسُهُ لهمْ مُنْحنٍ عطْفاً، بهمْ شامخٌ فخْرا

ســـــــلوا عنـــه أطْوادَ البلادِ جميعَها ففيها بحــــــــقٍّ طابقَ الخبرُ الخُبْرا

(مفدي زكرياء، 1973، ص401).

هذا هو شاعر الجزائر الذي ظلّ وفيّاً لمبدئه الذي خطّه في حياته، فلم تغرّه مناصب، ولم يلهث وراء جاهٍ سياسيّ أو اجتماعيّ، وإنّما ظلّ على اقتناع بأنّه ملك في عرشه مع شعبه وتلامذته وأصدقائه، ولم تغب عنه الوطنيّة لحظة بل تمنطقها واحْتضنها وجهر بها في مختلف القصائد التي خصّصها لها.

كما احتفل الشّاعر أحمد سحنون [23] بفصائل الثّوّار التي توسّم فيها الخلاص الكامل من المحتلّ الأجنبيّ؛ حيث رحّب بجيش التّحرير قائلاً:

نضَّرَ الله هذه الأوجه الغـــرّ وجـوهَ كتـائب التّحْريـــر

وحباها ما يستحقّ أولو الفضـ ـــل، من الاعتبـار والتّقديـر [24]

إنّ فرحة الشّاعر أحمد سحنون بكتائب التّحرير التي تطوّعت في سبيل الله من أجل تحرير وطنها وفي غمرة الدّهشة الإيجابيّة التي طالته كسائر من حضر انفجار هذه الثّورة لم يتمالك نفسه أو يشحذ ذهنه فجاء البيتان خاليَيْن من الشّعريّة، وكانا عبارة عن نظم لا أكثر، ولكنّهما ينمّان عن وطنيّته وإخلاصه للوطن، وكأنّه تعمّد أن تكون افتتاحيّته هذه لقصيدته سهلة ليّنة قبل أن يقول:

إنّ من هاهنا سينشقّ فجْــ ـر، يمّحي من سَناهُ ليل الشُّرور

وستهْتزّ بالحياة وبالخِصْـ ـب، بلاد (الشّمال) بعد دُثـور [25]

انتقل الشّاعر من الخبر إلى الصّورة، فهو مؤمن بانتصار الثّورة ووصولها إلى هدفها المسطّر في بيان غرّة نوفمبر، وينظر إلى المستقبل بتفاؤل وإشراقة جديدة ستنتشر أضواؤها في بقاع الجزائر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وسيعمّ الخصب والرّخاء أرضها بعد المحْل والجدْب.

د – دور المرأة في إذكاء نار الثّورة:

ما إن اندلعت ثورة نوفمبر المجيدة حتّى هبّ إلى الانخراط في صفوفها كلّ طبقات الشّعب، وكان بديهيّاً أن تنخرط المرأة الجزائريّة فيها، لأنّ التّاريخ الحديث يشهد أنّها ما تخلّفت عن أخيها الرّجل في مختلف الثّورات قبل نوفمبر، فكيف يكون العكس بالنسبة لها وهذه ثورة عظمى اتّقدت نيرانها في كلّ مكان، والشّاعر خباشة لم يُفوّت هذه الفرصة فكرّم المرأة وامتدح بطولتها بقصيدة فضح فيها التّعدّي الصّارخ على حُرماتها بعد أن عجز عن مواجهة زوجها أو أخيها أو ابنها، وهو قد التجأ إلى الانتقام من المجاهدين باضطهاد النّساء ظنّاً منه أنّهنّ أقلّ ضراوةً من ضراغم الجبال، وما كان يعلم أنّ وراء الأسود لبؤات أكثر شراسة وأقوى مقاومةً، فقد تصدّت هؤلاء النّساء لجيش العدوّ بكلّ جرأة وصلابة، فلمّا يئس من استمالهنّ إليه راح يُعمل فيهنّ تقتيلاً وتشريداً وتقييداً، وهذا من العار الذي سجّله التّاريخ عليه، وهو شيء قليل بالنّسبة لنذالته وحقارته؛ لكنّ ذلك لم يَثْن من عزائمهنّ، ولم يفتّ من أعضادهنّ، بل زادهنّ إصراراً على المضيّ في طريق الجهاد، وقرّرْن أن يلفظن المصوغات ويتمنْطقن بخراطيش الرّصاص، كما أهملن الزّينة بالقلادات والأسورة، وتخلّين عن احتضان الأزواج إلى معانقة الرّشّاشات، والتّجمُّل بأنواع المسدّسات، يقول خباشة من قصيدة عنوانها: «اللَّبؤة الجزائريّة»:

إنْ طاردتْهُمْ بَطْشةُ الآجـــــــــامِ — حكمــــــوا على الفتيات بالإعْدام

جيشٌ يُجَنَّد لاضْطهاد بنــــــــاتنا — ويُجابِهُ الثُّوّار بالإحْجــــــــــامِ

أولى بهِ أنْ يسْتقرَّ بأرْضهِ — موْفــــــورَ عِرْضٍ، وافرَ الإكرام

بنتُ الجزائر – والنّضالُ يَهُزّها – — تاقتْ إلى خوض الغِمار الدّامي

شقّتْ إلى الجبل الأشَمّ مسالكاً — مسْدودةً في أوجُـــــــه الأخْصام

لقد انتطقْن، وما انتطقْن بفضّةٍ — فسبائكُ (الخَرْطوشِ) خيرُ حِزام

ولها يدٌ لماعـــــــــــةٌ، لا بالسِّوا — رِ، وإنّم ــــــــــا بمس ــــــدّس رجّامِ

والكفُّ منها تنكّرَ الحنّا وقدْ — ألِفتْ خِضـــــاب الدّمّ كالأقْدامِ

(خباشة، 1970، ص 42-43)

وكانت وطنيّة محمد الصّالح باوية عميقة متجذّرة فيه، فانعكس ذلك على خطابه الشّعريّ الذي كاد يقصره على تمجيد الثّورة والتّغنّي بإنجازاتها، مُبْرزاً دور الأمّ في تأجيجها وتقديم نفسها قرباناً للحرية، فقد وظّف (الأمّ) ليبني عليها قصيدة كاملة مع تكرار كلمة (أقسمت) التي تعني الكثير لدى المتديّن المتشبّث بروح الإسلام، والقسم الذي صدر عن أمّ

الشّاعر، إنّما هو رمز لكلّ الأمّهات الجزائريّات اللواتي ثكلن أولادهنّ في الثّورة، فزاد ذلك الثّكل منهنّ إصراراً وبأساً وعزماً على الانتقام من المستدمرين البُغاة؛ يقول:

أقسمتْ أمّي بقيدي بجروحي سوف لا تمسح من عيني دموعي
أقسمت أن تمسح الرّشّاش والمد فَعَ، والجُرْح بمنْديل دُموعي
أقسمت أن تغسل الجُرْح وتعْدو شُعْلةً تَضْرم أحْقاد الجُموعِ
أقسمت أن تحمل المدفع مثلي أنْ ترُشّ الدَرْبَ بالعطْر الْخضيبِ
أنْ أراها ضربةً عذْراءَ تغْزو بسمة السّفّاح في السّهل الخضيبِ [26]

وبعد تقديم الأمّ وما قامت به وعزمت على أن تظلّ وفيّة له، مخلصة لأمتها ووطنها بجراءتها وشخصيّتها واندفاعها نحو أتون المعركة غير متهيّبة من الموت، رافضة اللجوء إلى ذرْف الدّموع والتّحسُّر؛ بل إنّها لم تُبال بآلام ولدها ودموعه التي كانت تنهمر على خدّيه بفعل ما أصابه من جراحات ثخينة في جسمه، بل عمدت إلى المنديل الذي مسح به دموعه لتنقله إلى الرّشّاش والمدفع فتمسحهما به تهيئةً للانتقام ممّن تسبّبوا في زرع الموت بين الأفراد والعائلات، ومنهم هذه الأمّ الذي ملكت نفسها وظلّت رابطة الجأش لا تنظر إلى وراء، ولكنْ إلى المستقبل المشرق الذي سيعمّ بلدها، لذلك ذرعت طفلتها الرّضيعة وألقمتها ثديها وانطلقت بها إلى ساحة المعركة لتقتحم صفوف العدوّ من غير احْتراس أو توجُّس، وأصرّت في قسمها على أن تلتحق بالجبال ولن تعود إلى بيتها أو عائلتها إلّا بعد أن تشارك ابنها في دفْن فرنسا المحتلّة، وأن ترى مرتزقتها طريحي الأرض تدوسهم أقدام الأبطال الذين حرّروا الجزائر، يقول:

أقسمتْ أن تُرضع الفجرَ وأختي في ضفاف الموت، في عنف اللهيب
أقسمتْ أن تسقيَ الأشْلاءَ شوقاً وحناناً، وعُطوراً في الدُّروب
أقسمتْ أن تحفِر القبر معي: قبر فرنسا، وتُغنّي للحياة
أن ترى الطّاغي هشيماً تحت أقْدا م رفاقي، تحت أقدام فتاتي [27]

والشّاعر العيد لم ينس هو أيضاً ما قامت به المرأة من تضحيّات جسام إبّان الثّورة، لأنّها لم تدفع بابنها وزوجها فحسب، ولكنّها تخذت هي البِدار، وانتفضت نحو ساح الوغى ممرّضةً ومعلّمة ومقاومة إلى جانب أخيها المجاهد، وقد تعرّضت في أثناء انخراطها في صفوف المجاهدين إلى متاعب لا تُحصى، شأنها في ذلك شأن كلّ المقاومين، فقد مسّها الضّرّ نتيجة للحرمان العاطفيّ ونسْيانها الارتباط بزوج أو بعل، ورفْضها ليونة العيش والاستقرار، وإقبالها على حياة الخشونة والشّراسة، مندمجةً في الصّفوف، رافضة الانكسار وآبية القعود والتأوّه، وهذا ما ينقله الشّاعر في قصيدة عنوانها: «ثورة بنت الجزائر» منها قوله:

يا فتـــــــاةَ البلادِ شعْبُكِ نادى فاسْتجيبي بعزْمة للمنادي

جَدّ جِدّ النّساء وانـــــــطلق الرّكْـ ـــبُ مع الرّكْبِ للمدى باتّحاد
إنّما الأمّهاتُ دولابُ عُمْـــــــرا نٍ، ودوْحاتُ عِصْمةٍ واسْتنادِ
هنَّ أُنْسُ البيوتِ والأهلِ تدْبيـــ ـــراً، وأُسُّ الأزواجِ والأولادِ [28]

ويُعبّر عن مساهمة المرأة بتمثيله للجميلات اللائي غدون نماذج حيّة لبطولة كلّ امرأة في العالم [29]، وهذا التّقدير من الشّاعر للجميلات إنّما هو رمز لسائر البطلات الجزائريّات اللواتي ألقين بأنفسهنّ في تنّور الثّورة الجزائريّة؛ فقال:

«والجميـــلاتُ» ذكْرياتُ اصْطبـــــارٍ وانتصارٍ على الخُـــطوب الشّدادِ
قدْ سبقْنَ الرّجالَ في البأس صبْراً وتحمّلْـــــن فتنـــــة الأضْـــدادِ
وأثرْنَ الأبـــــطالَ للـــــثّأْر منهـــمْ فاسْتباحوا زروعهـــم بالحصاد [30]

ثمّ ينقل الحديث على ألسنتهنّ التي راحت تسرد الأعمال التي قمن بها وكيف أنّهنّ استغْنيْن عن العقود الذّهبيّة بعقود الرّصاص، وعن الأحزمة الذّهبيّة بمعانقة الرّشّاشات، وكنّ طوال وجودهنّ بين الصّفوف في الجبال على استعداد لأيّ طارئ، فبدّلن صفة اللّطافة الأنثويّة بالحدّة والشّكاسة إزاء العدوّ، ولكنّهن ظللْن على طبيعتهنّ المتمثّلة في دماثة الخلق، وشرف الاعتبار؛ يقول:

واتّخذْنا من الرّصاص عُقـــــوداً وانتطقـــــنا بـــــه على الأكْباد
واعْتقلْنـــــا رشّاشـــــنا ســـــاهراتٍ شاهراتٍ له على اسْتعْـــــداد
وقدحْنا زنادنـــــــــا فقهـــــرْنا وبهرْنا العِـــــدا بقـــــدْح الزّنادِ
فإذا جِنْسُـــــنا اللطـــــيفُ عنيفٌ وشريفٌ في ساحـــة الأمـــجادِ [31]

ويختم قصيدته عن الفتاة الثّوريّة بحديثها عن نفسها دائماً حيث تجأر بصفتها «أنا ثوريّة»، وهذه الصّفة تُغني عن كلّ نافلة في الوصف أو الإخبار عن صنيعها إبّان الثّورة، فكلّ من كان ثائراً في الجزائر مشهود له ببذل النّفس والدّم من أجل بلده: قوافل الشّهداء المتتابعة، وألوف الأطفال الذين تيتّموا، والملايين من البشر الذين شُرّدوا، كلّ ذلك كواهم لأنّهم رفضوا الانصياع للواقع الذي أراد فرْضه الاستدمار الفرنسيّ البغيض، وقد انضمّت المرأة إلى الكفاح المسلّح بفضل جسارتها وإقدامها. ولا غرو في ذلك، فهي بنت الجزائر بالنّسب العظيم، قبل أن تكون بنت أسرة مّا بالاعتزاء العائليّ، فلم تنس أصلها ولم تتجاهل عائلتها، ولذلك هي توضّح بأنّها إنّما تُعيد قليلاً من حقّ وطنها وعائلتها عليها؛ يقول على لسانها:

أنا ثوريّةٌ سلامـــــــاً وحـــــــرْباً فكـــــــرتي عُدّتـــــي وعلميَ زادي!
وعفافيَ درْعـــــي وصبري دفـــــاعي وصلاحيَ حصْني ودِيني عِمادي!
أنا بنتُ الجزائر اليومَ أقضي حقَّ أمّي بخـــــدمتي واجتهادي

قد غــــــذتْني بدرّها مـــــذْ تمتّني | ورعــــــــــتني ببرّهــــــــا المزْدادِ
وابْتغتْ نجْدتي فما قُمتُ إلّا | بقليلٍ من واجب الإنْجــــــــــادِ
لست أنسى مفاخـــــــري فاطمئنّي | وثقي بي في ثورتي يـــــــا بلادي [32]

هـ . رفض التّفريط في شبر واحد من أرض الجزائر:

مثلما سبق الحديث، فإنّ شعر خباشة امتزج فيه الرّونق الشّعريّ بالحماسة الثّوريّة، وبالتّأريخ لقضايا شائكة تسبّب فيها الاستدمار بألاعيبه، وبمحاولة يائسة منه في التشبُّث بالجزائر، فلمّا أحرقتْه لظى الرّشّاش والاستبسال، عمد إلى حيل شيطانيّة لتقسيم البلاد، حيث إنّه انْصاع للأمر الواقع ستة 1957م، ولكنّه أبعد الصّحراء من الاعتراف بالاستقلال، وهذا ما يكشفه الشّاعر رافضاً كلّ تقسيم أو تجزيء لأرض الشّهداء في قصيدة عنوانها: «صرخة من الصّحراء»[33]، يقول فيها:

أفي صحْرائنا اتّخـــــــــذوا الدّيارا | إليكمْ، لن تطيب لكمْ قـــــــرارا
سمـــــــاواتي عليكمْ ثـــــــــــائراتٌ | تُحرّق بالصّواعق مَـــــــــنْ أغارا
وأرضي منكُمُ تنشقُّ غيظاً | فكمْ جيشٍ لكمْ فيها تَوارى

(خباشة، 1970، ص 36)

إنّه تساؤل يحمل التّعجُّب والاستهزاء بالاستدمار الذي ظنّ أنّه ناجٍ من الإبادة حينما اتّخذ من الصّحراء مأوىً له، وكيف لا يطيب له المقام بها وهي تتفجّر آبار خير وثراء، فصنع كما تصنع بنات آوى التي ترضى من الغنيمة بالفضلات الزّائدة على طعام الأسود الضّواري، لكنّ خدعته مكشوفة، وخطّته مفضوحة، فأرض الجزائر صارت عليه محرّمة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وجبالاً وسهولاً وسماءً!.

وبعد هذه التّقدمة يصرخ في وجه المستدمرين بأفعال طلبيّة متتابعة (دعوا) التي تحمل وظائفها النّهي المطلق، والرّفض القطعيّ الذي لا يُنهْنهه ريب أو تردُّد، وبعد كلّ أمر يصدر عنه يفصّل القيل في الأماكن الرّافضة التي تمثّل تراب الجزائر من أقصاها إلى أقصاها: (دعوا تلك الصّخور/ دعوا الكثبان/ دعوا المفاوز/ دعوا المعادن/ دعوا البترول...)، وبعد كلّ جملة طلبيّة يُبيّن قيمة ما تشتمل عليه الصّحراء من ثروات أسالت أطماع الفرنسيّين وجُنّ جنونهم بعد أن رفضت الثّورة التّنازل عن حبّة رمل أو حفْنة تراب من أرض الجزائر، يقول:

دعوا تلكَ الصّخورَ ، فلنْ تُطيقوا | لها نقْباً، فقدْ شمختْ جدارا
دعوا الكُثْبان جنْباً، لا تُضيعوا | لِحاظَكُمُ إذا ما الرّمْلُ ثارا
دعوا تلك المفاوزَ، لنْ تُطيقوا | على حرّ الظّما فيها اصطبارا

دعوا تلك المعادِنَ في ثَرانا أبَيْنا في مواردنا احْتكارا
دعوا البترول في الصّحراء يجري نُضاراً، نحن ندّخر النُّضارا
(خباشة، 1970، ص 39)

و – بشائر النّصر:

كان ثمّة عدد من القصائد التي اهتزّت أريحيّة وحُبوراً بتحقيق الاستقلال، ويتعذّر علينا متابعتها كلّها أو بعضها بالنّظر إلى حجم هذا البحث الذي لا يسع التّفاصيل، ولا يتحمّل المادّة كلّها، وهذا الدّاعي هو عذرنا في عدم الاستشهاد بنموذجات كثيرة، ونقتصر فقط على ما يأتي من نصوص في هذا المضمار؛ وأوّل نصّ نورده هو لمحمد العيد الذي مزج بين ثورة نوفمبر والوصول إلى الهدف في نهاية المطاف، فهو، وإن لم ينس أيّامها السّود الحافلة بالأشلاء والأحزان، فإنّه مع ذلك ألقى بتلك العذابات والحُرق إلى جانب حتّى تبقى عبرة أبديّة للأمّة الجزائريّة، ووضع بإزائها ما تحقّق من نصر مبين، وهدف عظيم، وهو ما يُخفّف من وطأة التّنكيل والتّمثيل بالمناضلين، فألقى قصيدة عصماء في الذّكرى العاشرة للاحتفال بإحياء ثورة نوفمبر[34]، قال فيها:

نوفمبرُ قدْ وافَى على الْيُمْنِ والْبُشرى بعاشرة الذّكرى لثورتنـــــا الكبرى
نوفمبرُ قدْ وافَى فأهـــــلاً ومـــرحباً بشهرٍ ركِبْنا فيه مرْكَبَنا الـــــوَعْرا
نوفمبرُ قدْ وافَى الجـــــــزائرَ طاوياً من الثّورة الكبرى سنين لها عشْرا
نوفمبرُ وافانا فـــــــذكّرنا الفِدى وثورتنا العُظْمى وأعوامها الغُبْرا [35]

هي أبيات استفتاحيّة عن شهر الانتصارات والبطولات (نوفمبر)، رحّب بمقدمه وذكر بعض إنجازاته قبل أن يُخاطبه مُفتخراً به موظّفاً محسّنات لفظيّة من جناسات وتطبيقات، وكاشفاً عن تأثيره فيه هو نفسه فانفجر بالشّعر بعد ما أوحى إليه ما أوحى. وقد أغدق عليه من الأوصاف التي تُجلّه وتُجلْجل أعداءه؛ فهو سيّد الشّهور الأعجميّة الأخرى، وفيه تتجلّى بطولة الشّعب الذي دحر الباغين انطلاقاً منه، ووازن بين فاتحه وما نجم عنه من انتصارات كانت فتحاً مبيناً وتحريراً للجزائر شاملاً؛ فقال:

نوفمْبرُ عمْلاقُ الشّهور ببأْســـــــــــه وجبّارُها تُخْنى الرّؤوس له جبْرا
نوفمبرُ أذْكى من فؤادي شعـــــــــورَهُ وألْهبَ إحْساسي وألهمني الشّعرا
نوفمبرُ جلّى عـــــنْ بلادي ظلامَـــــها نوفمبرُ في آفاقها أطْلعَ الفجْرا
ففاتحُهُ قدْ كان أعظمَ فـــــــــاتحٍ لنا كسَبَ التّحْـــــريرَ وانتزع النّصْرا [36]

ومن الافتخار بهذا الشّهر يستطرد تارة أخرى في الحديث عن نتائجه وما قامت به طبقات الشّعب المختلفة انطلاقاً منه، فدحرت العدوّ الدّخيل متمثّلاً في فرنسا حيث أذاقوها الحنظل والصَّبَر، وتحوّل بذلك جنونها نحوها، فأبيدت برصاص وأسلحة الشّعب، واندحرت خاسئة إلى غير رجعة؛ يقول:

أذاق فرنســـا علْقَـــــــماً بكفاحه ومنّا بفضل الصّبْر جَرّعها الصِّبرا
وثَبْنا عليها كالنُّمـور جَـــــــراءةً وثُرْنا كأُسْد الغابِ نُرْعبها زأْرا
وقـــــــمْنا إلى رشّاشنـــــــا برصاصنا نُفنّد دعْواها ونُبْطلـــــــــها جَهْرا
زحفْـــــــنا عليها نزْدري بعتادهـــــــا وبالنّار والبارود نَصْهرُها صَهْرا [37]

أمّا محمد الأخضر عبد القادر السّائحي [38] فقد تغنّى هو أيضاً بشهر النّصر الذي هو خاتمة شهور الثّورة المجيدة مخصّصاً له قصيدة عنوانها: «تحيّة إلى جويلية»، وهو يتحدّث عمّا حمله هذا الشّهر من أمانٍ وآمال بعد أن تحقّق النّصر الذي كان مجرّد حلْم في أوّل الأمر، على أنّ هذا النّصر لم يتحقق بالتّواكل والتّراخي واللّامبالاة، ولكن بتقديم القرابين على مذبحة الحرية، وبالدّم الغالي الذي سال عبر الجبال والوهاد من أنفس الجزائريين والجزائريّات، وهو ما سجّله التّاريخ المعاصر في قراطيسه ليرويه للأجيال التي تولد فيما بعد، هي ثورة اشتعلت ثمّ هاجت كبُركان تفجّر وأرسل حُممه إلى كلّ جهة من جهات الوطن طوال سنوات سبع ونصف سنة، لكنْ بانتصار باهر لم يذر للشّكّ سبيلاً؛ يقول:

أيُّها الشّهرُ، يا نشيدَ الأماني كلُّ صوتٍ غنّى تحيّةَ حُبِّ
فيكَ يا شهرُ حقّق الشّعبُ نصْرا كان حُلْماً قُبيْل ثـــــــورةِ شعْبي
ثورةٌ منْ دم الجمـــــــــاهيرِ هبّتْ في اتّقـــــــادٍ وعـــــــزّةٍ وتأبِّ
كلّ شيءٍ إلى المصير دعـــــــاها فاسْتجـــــــابتْ إليهِ من كلّ دَرْبِ
ثورةٌ أشْعلتْ لهيب الجماهيـــ ـــر، فلبّت، يا ثورة الحقّ هُبّي
وغدا التّاريخ المقدّسُ يَروي قصّةَ المجْدِ، والنّضالُ يُلبّي
إنّها قصّة البلاد التي ثارتْ كبُرْكانٍ هاج من كلّ صَوْبِ
ثورةُ السّبْع، بعد قرنٍ وثُلْثٍ في ظلام كليل قبر، وحرْبِ
ثورةُ الحقِّ تاجُها نصْرُ «يوليو» بعدَ صبْرٍ على المكارهِ صعْبِ [39]

خاتمة:

عالجنا في هذه المقالة قضايا تتعلّق بثورة نوفمبر 1954م سجّلها شعراء جزائريّون فطاحل اخترقت شهرتهم الآفاق، وقد فضحوا في قصائدهم المختلفة كيد الاستدمار الفرنسي، وسجّلوا جرائمه الفظيعة التي ستظلّ وصمة عار في تاريخه المسوَّد الملطّخ بدماء الشّعوب المستضعَفة.

وقد حاولنا في هذا البحث أن نستشهد ببعض القصائد أو الأبيات لطائفة من الشّعراء الذين جلجلوا المنابر، ورفعوا ذكر الثّورة عالياً في مختلف الأصقاع، وبما أنّ الجانب المنهجيّ له حكمه في مثل هذه البحوث، فقد اقتصرنا على مقطوعات معدودات من نتاج شعراء الثورة الغزير.

وعسى أن يُقيّض الله لنا عودة إلى هذا الشّعر في مناسبة أرحب فنُفصّل فيه الحديث، ونخصّه بتحليل أعمق وأوفى.

الهوامش

[1] . سبق لنا أن وقفنا لدى هذا الإشكال الذي كثيراً ما يُطرح بشأن مساهمة هذه االنّاحية وغياب تلك عن أحداث الفاتح من نوفمبر 1954م، وأوضحنا بالدّليل والتّاريخ المشاركة الكاملة لمختلف الولايات الجزائريّة مع تفاوت في حدّة الهجمات. مخطوط لنا عنوانه: «ومضات من الثّورة الجزائريّة» قيد الطّبع، كما عالجنا هذه النّقطة في محاضرات أُلقيت بالمناسبة.

[2] . يتردّد هذا الاسم كثيراً بين الشباب، ولكنّ قليلاً منهم يوليه أهمّيّة أو يعرف عنه ما يجب أن يُعرف. ومن ثَمّ، فإنّ تسجيل موجز عن حياته يكون ضروريّاً للتّاريخ، وللأجيال الجديدة حتّى يتمثّلوا بها ويحتذوا بنبراسها، فالشّهيد البطل هو أحمد زبانة، واسمه الحقيقي: أحمد زهانة، ولد سنة 1926 بزهانة (ولاية معسكر)، وكان من السّبّاقين الأوائل لإشعال فتيلة نار الثّورة، حيث عمد في سرّيّة إلى تكوين أفواج في كلّ من زهانة، ووهران، وعين تموشنت، وحمام بوحجر، وحاسي الغلة، وسيق. وكلف هذه الأفواج مع الشّهيد بن عبد الملك رمضان (1928م-1954م بجمع الاشتراكات لشراء الذخيرة والأسلحة، وعمل على توعيتهم وتوجيههم إلى كيفيّة نصب الكمائن وشن الهجومات وصناعة القنابل...

ومن العمليات الناجحة التي قادها زبانة: عملية (لاماردو) في 1 نوفمبر 1954 ومعركة (غار بوجليدة) في 11 نوفمبر 1954 التي وقع فيها (رحمه الله) أسيرا بعد أن أصيب برصاصتين، فنُقل إلى المستشفى العسكري بوهران ومنه إلى السجن.

وفي 21 أبريل 1955 قدم للمحكمة العسكرية بوهران فحكمت عليه بالإعدام. وفي 3 مايو 1955 نقل إلى سجن بربروس بالجزائر العاصمة وقدم للمرة الثانية للمحكمة فأقرّت الحكم السابق الصادر عن محكمة وهران ليُنقل إلى سجن سركاجي تمهيداً لاستشهاده.

وفي يوم 19 يونيو 1956 وفي حدود الساعة الرابعة صباحا أخذ البطل من زنزانته وسيق نحو المقصلة وهو يردد بصوت عال: «إنني مسرور جدّا أن أكون أوّل جزائريّ يصعد المقصلة، بوجودنا أو بغيرنا تعيش الجزائر حرة مستقلة» - تنظر : الموسوعة العالميّة ويكيبيديا (wikipedia) وغيرها من كتب تاريخ ثورة نوفمبر.

[3] . روى البخارى فى صحيحه عن عائشة (رضى اللّه عنها) أنّها قالت:«كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) يضع لحسّان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم أو ينافح، ويقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) :إن اللّه يؤيّد حسّان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وسلّم) » - ينظر الحديث مع اختلاف فى بعض الألفاظ فى كلّ من سنن الترمذى، ج8 ص 63، و سنن أبى داود ج15 ص 50 وغيرهما..

[4] . رَوَاه سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنِ (النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ – جامع التّرمذي، رقم: 1402.

[5] ينظر الموقع نفسه: algeriearabite.canalblog.com – مقالة عنوانها: «الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربيّ الحديث»

[6] . موقع: algeriearabite.canalblog.com – مقالة عنوانها: «الثّورة الجزائريّة في الشّعر العربيّ الحديث»

[7] . نُشرت هذه القصيدة بجريدة «الإقدام» الصادرة في 26 جمادى الثانية 1341هـ/ شعراء الجزائر في العصر الحاضر للشاعر، إعداد وتقديك: د. عبد الله حمادي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2/ 2007م، ص 103 وما بعدها.

[8] . نفسه، 113.

9–ديوان الشّهيد الرّبيع بوشامة: د. جمال قنّان، منشورات المتحف الوطنيّ للمجاهد، 1994م، ص 243.

[10] . ذهب ضحيّتَها رقم خياليّ من الشّهداء بلغ أو تجاوز 45000ألفاً (رحمهم الله).

[11] . ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 296.

[12] . نماذج من الشّعر الجزائريّ المعاصر (شعر ما قبل الاستقلال) . سلسلة أدبيّة كانت تصدرها مجلّة آمال (الجزائريّة) ج 1 ع . 3 ، د . ت/ ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة، الجزائر، ط1/ 2010م، ص 336

[13] . بوڤجيس مونوري : كان رئيس الحكومة الفرنسيّة ووزير الدّاخليّة والدّفاع إبّان الثّورة الجزائريّة .

[14] . أنت ليـلاي : 33.

[15] . وُلد الشّاعر والمؤرّخ أبو القاسم سعد الله عام 1930م في (قمار) من وادي سوف، وبها حفظ القرآن الكريم .، فلمّا اشتد عوده قرّر الهجرة في سبيل العلم إلى تونس حيث التحق بجامع الزّيتونة التي ظلّ بها إلى أن أحرز على شهادة التّحصيل سنة 1954م . عاد إلى الجزائر ليشتغل بالتّعليم في مدرسة " الثّبات " بالحرّاش ، وفي هذه الأثناء، تناهى إلى علمه قيام ثورة نوفمبر، فعلم أنّ الاستمرار مستحيل، وأنّ زلزالاً شديدا سيضرب مختلف المداشر والقرى والمدن الجزائريّة، فخرج تحت ستار السّفر إلى الحجّ ، وشدّ رحاله باتّجاه جامعة القاهرة، حيث سجّل في كلّيّة العلوم ابتداءً من سنة 1955م ، وظلّ فيها إلى أن حصل على شهادة اللّيسانس في سنة 1959م (لغة عربيّة وعلوم إسلاميّة) . وفي سنة 1960م التحق بأمريكا ليتابع دراسته العليا في جامعة (منيسوتا) بقسم التّاريخ، فأحرز على شهادة الماجستير في التّاريخ والعلوم السّياسيّة في سنة 1962م وعلى شهادة الدّكتوراه في سنة 1965م .

والدّكتور أبو القاسم سعد الله نابغة الجزائر في مختلف الفنون الأدبيّة والفكريّة حيث إنّ له نشاطات حثيثة في مجال التّأطير على مستوى الجامعات الجزائريّة، وله أكثر من عشرين مؤلّفا في مختلف صنوف المعرفة؛ منها :

- النّصر للجزائر (شعر) .
- ثائر وحبّ (شعر) .
- دراسات في الأدب الجزائري الحديث (دراسة) .
- حكاية العشّاق في الحبّ والاشتياق (رواية) . تقديم وتحقيق .
- منطلقات فكريّة .
- تاريخ الجزائر الحديث . بداية الاحتلال .
- الحركة الوطنيّة الجزائريّة (في أجزاء) .
- تاريخ الجزائر الثّقافيّ (في أجزاء) ...وهلمّ جرّاً .

[16] .. نماذج من الشّعر الجزائريّ المعاصر 1 : 196

[17] .. من مؤلّفاته الشّعريّة : " أغْنيات نضاليّة "

[18] .. نماذج من الشّعر الجزائريّ المعاصر 1 : 226 .

[19] . وُلد الشّاعر بالقرارة (الواحات) في شهر ماي 1933م، درس بمسقط رأسه ما تيسّر له، ثمّ التحق بالزيتونة (تونس). وفي سنة 1958م انتقل إلى بغداد لينضمّ إلى البعثة الجزائريّة، فأتمّ دراسته في جامعتها، حيث حصل على شهادة الليسانس في الآداب سنة 1961م. من أعمالة «ديوان الرّوابي الحمر». توفّي في 15 من ذي الحجّة 1437هـ/ 17سبتمبر 2016م.

[20] . قال: «وهي قصائدي الثّوريّة» – الرّوابي الحمر، ص 9.

[21] .. ديوانه، ص 401.

[22] . تعرّضنا لهذه القصيدة في كتابنا «الشّعر المغاربيّ الحديث » – قيد النّشر – .

[23] . وُلد الشّيخ أحمد سحْنون في سنة 1906 أو 1907 م بقرية (ليشانة) من الزّاب الغربيّ . تلقّى علومه الأولى على يد والده ، ثمّ على شيوخ عصره لاسيّما الشّيخ محمد خير الدّين، وقد أتاحت له ثقافته العضْويّة في لجنة جريدة " البصائر" . سُجن في أثناء الثّورة التّحْريريّة الكبرى من سنة 1956 إلى سنة 1959 م . بعد الاستقلال، عُيّن إماما للجامع الكبير بالعاصمة كما عُيّن عضوا في المجلس الإسلاميّ الأعلى.

ومن أعماله: شُعراء الجزائر:1977م / دراسات وتوجيهات إسلاميّة :1981م ـ ش . و . ن . ت ـ الجزا.ئر.

[24] .. نماذج من الشّعر الجزائريّ المعاصر ـ منشورات آمال 1 : ع . 3 ، ص 79 .

[25] .. نفســه : 79.

[26] . الشّعر الجزائري: د. صالح خرفي، الملحق، ص 86 من قصيدة «النّائر».

[27] . نفسه، ص 86.

[28] . ديوانه، ص 392.

[29] . من الصُّدف العجيبة أنّه، وعلى الرّغم من بروز المرأة الجزائريّة في الجهاد إلى جنب أخيها الرّجل، فإنّ التّاريخ سلّط ضياءه على اسم رائع بلا ريب يشي من ورائه باللافْتتان والملاحة والحسن، إنّه اسم (جميلة)، فهذا الاسم هو في الواقع رمز لتضحية كلّ جميلة من جميلات الجزائر، بصرف النّظر عن الاسم الذي تحمله، ولكنْ للتّاريخ، لا بدّ من وقفة موجزة عند الجميلات الثّلاث:

1 . جميلة بوحيرد المولودة سنة 1935م: ما نالت امرأة مناضلة في العالم شهرة مثل شهرتها، ولا تعذّبت مثل عذابها، ولذلك نظم الشّعراء العرب قصائد عنها مثل نزار قبّاني، وبدر شاكر السياب، كما أهدتها المطربة فيروز أغنية عنوانها: «رسالة إلى جميلة»، وأخرج يوسف شاهين فيلماً عنها من تمثيل الفنّانة القديرة (ماجدة)، وهلمّ جرّاً...

2 . جميلة بوباشا المولودة سنة 1938م، خلّدها الفنّان العالمي (بيكاسو) بلوحة فنّيّة لملامحها، وأخرجت عنها فيلماً المخرجة الفرنسيّة (كارولين هيبار) سنة 2011م، اشتركت في كتابته كلّ من (جيزيل حليمي) و (سيمون دي بوفوار)، ويبدو أنّ أحداث هذا الفيلم كانت بعيدة عن سيرتها الحقيقيّة، لذلك رفضته وطالبت بتوقيف عرضه حالاً، وطار اسمها إلى (الشّيلي)، فرسم لوحة لها الفنّان الشّيلي (روبرتو ماطا) عنوانها: «رسالة إلى جميلة». كما أقسم مفدي زكريّاء في بيت شهير من ديوانه بهؤلاء الجميلات الثّلاث، قائلاً:

وحقّ «الجميلات الثّلاث» وبالتي أجابتْ، فراحتْ للفدا تهجُر الخِدْرا

3 . جيلة بوعزّة: المولودة سنة 1937م والمتوفّاة سنة 2015م: لم تصل شهرتها إلى شهرة أختيها السّابقتيْن، وقد يعود ذلك إلى زهدها في الظّهور، وابتعادها عن الأضواء وحبّ الشّهرة (رحمها الله).

[30] . ديوانه، ص 392.

[31] . نفسه، ص 393 .

[32] . نفسه، ص 393.

[33] . نظمها الشّاعر ستة 1957م

[34] . أُلقيت ليلة غُرّة نوفمبر 1964م، ونُشرت بالعدد 17 من مجلة المعرفة الصّادرة في ذي القعدة 1384هـ (مارس 1965م)، كانت تصدرها وزارة الأوقاف في الجزائر (احتجبت).

[35] . ديوانه، ص 400.

[36] . ديوانه، ص 400.

[37] . نفسه، ص 401.

[38] . الشّاعر عبد القادر السائحي: من مواليد 1 أكتوبر 1933مبتقرت، من أسرة اشتهرت بالشّعر، كما يقول هو نفسه. التحق بجامع الزّيتونة في السنة الدّراسية 1949 – 1950م، وظلّ يدرس فيها إلى أن نال شهادة التّحصيل (الثانويّة العامّة) في سنة 1956م، شارك في الثّورة مناضلاً في اتّحاد العمال وفي اتّحاد الطلبة، وحينما وضعت الثّورة أوزارها التحق بجامعة الجزائر حيث نا

ل شهادة الليسانس عام 1969م – له مجموعة من التّمثيليّات التّاريخيّة والأدبيّة والاجتماعيّة ومجموعة قصص قصيرة، وديوان عنوانه: «ألوان من الجزائر»، و «ألحان من قلبي»، و «الكهوف المضيئة»، و «واحة الهوى»، و «أغنيات أوراسيّة»، وغيرها...

[39] . ديوان «بكاء بلا دموع»: محمد الأخضر عبد القادر السّائحي، الشّركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1/ 1980م، ص 75 – 76.

قائمة المصادر والمراجع

1 – النّضال والثّورة في الأدب العربيّ الحديث: عبد الله خلف، أعمال مؤتمر الأدباء العرب العاشر ومهرجان الشّعر الثّاني عشر،وزارة الإعلام والثّقافة، الجزائر: 25 أبريل إلى 3 ماي 1975م، ج1 ص 528.

2 – مجلة الذّاكرة، إصدار: المتحف الوطني للمجاهد، السنة 2، العدد3، خريف 1995م الموافق لـ 1415هـ، مقالة للدكتور: محمد لحسن زغيدي عنوانها:البُعْد الثّوريّ للحركة الوطنيّة والثّورة التّحريريّة، ص 71.

3 – لمحات من ثورة الجزائر: بوالطمين جودي الأخضر، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1987م، ط2/ ص 23.

4 – شعر الثّورة في الأدب العربيّ المعاصر: د. عبد الرحمن حوطش، مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرباط (المغرب)، د. ط/ 1987م، ص 15.

5–رمضان حمود: صالح خرفي ، ص 65 .

6 – ديوان الشّهيد الرّبيع بوشامة: د. جمال قنّان، منشورات المتحف الوطنيّ للمجاهد، 1994م، ص 243.

7– أطلس المعجزات: د. صالح خرفي، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، د.ط/ 1968م، ص 169.

8– ثـائـرٌ وحـــبّ ـ منشورات دار الآداب ـ بيروت (لبنان) 1967م ـ ص 32 ـ 34 .

9– . الروابي الحمر: صالح خباشة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1970م، ص 164.

10– اللهب المقدس: مفدي زلزياء، نشر: دار البعث– قسنطينة (الجزائر)، ط 2/ 1393هـ (1973م)/ومنشورات وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدينيّة، الجزائر.